الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة متنوري – قسنطينة-

كلية الآداب واللغات   قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المذ كرة:

أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- وهيبة العايب
- نورة قريشي

إشراف الدكتور:
* نواف أبو ساري*

شعبة : الأدب العربي

تخصص: الآداب الأجنبية والأدب المقارن

دفعة ماي 2011

بسم الله

الرحمن الرحيم

" اللهم إني أسألك علما
نافعا، وأعوذ بك من علما لا
ينفع"

"اللهم أنفعني بما علمتني و
علمني ما ينفعني و زدني
علما"

الإهداء

إلى من ربياني على الفضيلة وعلماني كل طهر ونبالة أمي وأبي

إلى رمز البراءة والطهارة: عبد الرحمن، هيثم، أيمن، إكرام، سامي، صلاح الدين.......

كما نتقدم بجزيل الشكر والاحترام على الأستاذ المشرف " نواف أبو ساري" على ما قدمه لنا

من نصائح وتوجيهات من اجل إنجاح هذا العمل وإكماله.

كما نتقدم بجزيل الشكر والاحترام إلى كل من أمدنا يد العون ونخص بالذكر.

زوجي العزيز "محمد".

لخضر عيكوس.

دليلة بلعون.

حمزة العايب.

المكتبة المركزية – جيجل-

المكتبة المركزية –قسنطينة-

المقدمـة:

إن الرحلة إلى البلاد الأجنبية كانت على الدوام موضوع درس، وقراءتها ذات أثر تربوي، لقيمتها وثيقة وللمعومات التي تقدمها فيما يتصل بتاريخ العادات، وما تنطوي عليه فكرة الرحلة نفسها من مغامرات ومفاجآت قام بها رجال آخرون، أو ينتمون إلى عصور مضت، فالأدب العربي ثري بالرحلات، وبالمعارف التي جاءت بها الرحالة من التي زاروها، على امتداد تاريخه.

يفسح الأدب المقارن المجال واسعا لدراسة أدب الرحلات لأنها المعين الذي يمتاح منه أي شعب معلوماته عن شعب آخر، فالذين يقرأون النصوص الأجنبية في لغاتها الأصلية حتى بين من يحترفون الأدب المقارن يعدون قلة، أما الأغلبية فتكتفي بالترجمة أو بمذكرات الرحالة.

كما تمثل الرحلة برهانا ماديا، على قيام الاتصال المباشر وتؤكد على ما يقدمه هذا اللون من الأدب من حمولة ثقافية، وترسم لنا درجة استعداد البيئة التي عاش فيها الرحالة للتطور على المدى القريب أو البعيد، تبعا لصلاتها مع غيرها أو انفرادها عنهم وتقبلها لأفكار الآخرين مباشرة أو تسربا.

للمهاجرون والرحالة من الكتاب لهم فضل كبير في تكوين هذه الأفكار، فهم الذين ينقلون المشاهد ويشرحونها بما يتفق وميولهم، وما يتمشى مع غايتهم، كما تمليه عليهم أحوالهم النفسية والاجتماعية التي سافروا أو هاجروا إليها.

إن لاقت الرحلات بشكل عام اهتماما كبيرا لفائدتها في اكتساب الوعي الجديد كما أكدت فوائد السفر وعيا باطنيا يشير إلى التشبيه إلى الحياة والأحياء والتطورات البشرية والاقتراب الصحيح ومعرفة العلماء وما إلى ذلك.

كان الغرب دوما يثير إشكالية أمام الشرق والفكر الإسلامي، فالغرب أخذ يستعيد نشاطه الفكري والبحث من جديد حول الشرق والعالم الإسلامي والفكر الإسلامي بصورة تلفت النظر وتثير الانتباه، فعلاقتنا كشرقيين وكعرب مسلمين مع الغرب هي علاقات متشابكة وصراعات أوكتها عوامل التاريخ والجغرافيا والدين والسياسة فيا ترى.

هل كانت هذه العلاقات الشرقية الغربية نتاج المثاقفة بين الحضارات؟

أم كانت بغية إدراج أحدهما ضمن الآخر بنظرة استعلائية؟

أو تحديد كيف تكونت أفكار أمة ما في أدبها عن شعب آخر.

لقد وضح لنا الرحالة البلد الذي رحلوا إليه وشرحوا لنا رأيهم فيه، وتقديم نماذج بشرية فيه كما هو الحال عن الرحالة العرب الذين زاروا اسبانيا، فلم يروا فيها إجمالا إلا جانبها الإسلامي المفقود.

أما منطلقات البحث وغايته مختلفة عن الغربيين في دراستهم للشرق، انقسموا على أنفسهم في صياغة نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية اعتبروها نهايات حتمية لا يمكن تغيرها، ونظروا للبقية الأجناس البشرية الأخرى على أنها مجموعات متحجرة لا تملك خيار آخر، سوى الانقياد ورائهم والانصياع لفلسفاتهم النهائية للتاريخ التي تصورها مثلما أراد.

كل ذلك دفعنا لاختيار هذا البحث لمعرفة الإطلاع على الآداب الأخرى وتقديم الرؤية الغربية واديولوجيتها التي ظلت قابعة في الفكر الغربي منذ القديم كما أن الدراسات والبحوث في هذا المجال جاءت متعددة الجوانب نحن بصدد الوقوف عند واحدة منها والمتمثل في " أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات" نظرا لرغبتنا في الغوص في الموضوع والكشف عن خباياه واتبعنا المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتوضيح ما رآه الرحالة من البلاد الأخرى وتحليل العقلية الغربية تعرضنا في **الفصل الأول** الذي عنوانه " أدب الرحلات المفهوم، والأنواع والأغراض والأهمية" وقد بينا من خلاله: الإنسان والرحلات، مفهوم أدب الرحلات،أنواع الرحلات، أدبية الرحلة، مفهوم الأدبية، البنية السردية للرحلة، أهمية الرحلة، أغراض الرحلة التي بدورها تتفرع إلى دوافع دينية، ودوافع سياسية، دوافع تجارية واقتصادية، دوافع صحية، ودوافع أخرى.

أما **الفصل الثاني**: فتعرضنا فيه لدور الرحلات وعلاقاته بأدب الصورة والإستشراق المتمثلة في العلاقة بين أدب الرحلة وأدب الصورة، مفهوم أدب الصورة، أنواع الصورة التي تتفرع إلى صورة ايجابية وصورة سلبية، دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق، الإستشراق.

أما **الفصل الثالث**: فتناولنا فيه "صورة المشرق عند الغربيين" المتمثل في " المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب، صورة المشرق عند الإنجليز صورة المشرق عند الغربيين، صورة المشرق عند الألمان، صورة الجزائر عند الألمان، وصورة الجزائر عند الفرنسيين وخاتمة جاءت فيها حويصلة لأهم النتائج المستخلصة من خلال الدراسة.

لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع أهمها القرآن الكريم، محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، الطاهر احمد مكي: الأدب المقارن أحمد درويش: الإستشراق الفرنسي والأدب العربي بالإضافة إلى بعض المجلات منها مجلة الرسالة م ج 2، وبعض الرسائل منها: رسالة الماجستير لعائشة ولجي، الأستادة خامسة لعلاوي، زكما جرت العادة لا يوجد بحث خال من الصعوبات والعراقيل وكانت أهمها راجعة إلى الطبيعة الفلسفية للموضوع الذي جعلنا نغوص في كثير من المصطلحات والمفاهيم الفكرية التي تستدعي الكثير من الدقة والتركيز.

وفي الأخير لا يسعنا إلا تقديم الشكر الجزيل والكبير لأستاذنا الفاضل " **نواف أبو ساري**" الذي كان مشرفا وعونا وسندا لنا في هذا البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول: أدب الرحلات: المفهوم والأنواع والأغراض والأهمية

الإنسان والرحلات.

مفهوم أدب الرحلات.

أنواع الرحلات.

3- أ- الرحلات الواقعية.

3-ب- الرحلات الخيالية.

البنية السردية للرحلة.

4- أ- الحدث.

4- ب-اللغة.

4- ج-الراوي.

4 - د-الزمان.

4 -ذ-المكان.

أدبية الرحلة.

5-أ-مفهوم الأدبية.

5- ب-المحددات الأدبية في الرحلة.

أهمية الرحلة.

6-1- أغراض الرحلة: أ- دوافع دينية.

ب- دوافع علمية أو تعليمية.

ج- دوافع سياسية.

د- دوافع سياسية وثقافية.

ه- دوافع اقتصادية.

و- دوافع صحية.

ي- دوافع أخرى.

6-2- الأهمية المصدرية لكتب الرحلة.

1- الإنسان والرحلات:

إن الله خلق الإنسان محبا للحركة والتنقل ومنحه العقل والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر في البداية يبحث عن طعامه وشرابه فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وهي إمكانية ضرورية لحياته تتسق مع الهدف والغاية التي خلق لأجلها " وقد كان الله قادرا كل القدرة أن يهب السيدة مريم الطعام كما وهب لها الولد لكنه قال بعظيم حكمته" [(1)].

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" [(2)][سورة مريم 25] تشير كتب التاريخ والأنثروبولوجيا إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل حتى بعد أن تعلم الزراعة وكيف يستقر ويبني ويؤسس المجتمعات، فقد ظل على مدى العصور يتطلع إلى الآفاق البعيدة ولا يكف عن التفكير والتأمل فيما تضمه من الخلق والموجودات، فهو دوما تجده مشوق إلى معرفة كل شيء في هذا الكون مثلا: إلى موضع الشمس الذي منه تشرق وإلى معرفة مسكنها الذي إليه تغرب وكلما مرت السنون اكتشف ورأى من الدنيا عجبا اثر عجب فهو الإنسان في كل الأحوال، لا يكف عن السؤال كيف، ولماذا؟ "ومع تقدم الوعي وتجدد الحاجات تزداد رغبة الإنسان في السؤال وفي الانتقال والسفر وتنوع الأغراض التي تدفع إلى السفر ، إن العلم في الماضي كان عبارة عن قرى كثيرة مبعثرة فوق رقعة هائلة وكان السبيل الواحد لمعرفة الأحوال خارج القرية إلا الترحال"[(3)] والإنسان منذ أن يولد حتى يموت له الحق في رحلات دائبة، حتى أن لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الأم إلى البشر، وما وفاته ودفنه إلا رحلة ينتقل فيها من البشر إلى رحم الأرض تمهيد الرحلة نهائية .

غير أن هناك رحلات متباينة عن طريق العلم وعلى طريق النضج من عمر إلى عمر كما أن في إطار التشكيل الاجتماعي هناك رحلة من العزوبة والفردية إلى الزواج وتكوين الأسرة، وهناك رحلات داخل الوطن وأخرى إلى خارجه " وتتسع الحركة لتصبح رحلة من الأرض إلى القمر والكواكب كما أن الأدب الأخير ليس معنيا

[(1)]: أنظر فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، (د.ت)، ص 17.
[(2)]: القرآن الكريم: سورة مريم الآية 25.
[(3)]: أنظر المرجع نفسه ص 18.

بالرحلات الخيالية، ولكنه معني أساسا بالرحلة الواقعية ذات المحددات المكانية والزمانية سواء جرت في الأرض أو في السماء أو في أعماق البحار" (1)

2- مفهوم أدب الرحلات:

" أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم، وه_و فن له خصائصه المعينة بل إنه كما يقول " شوقي ضيق" يرفع التهمة التي ترى أن الأدب العربي لم يعالج فن القصة (2)لأن الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما لون من أوان القص والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرف قبل العرب الذين جابوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا أمثال ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم (3)"

كما أن " أدب الرحلة من المصطلحات التي يصعب أن نجد لها تعريفا جامعا، مانعا ولكن لا يمكن القول أن الرحلة جنس من الأجناس يتميز بنمطه الخاص في الكتابة المعتمد على عناصر التشويق في الحكي والجنوح إلى الغرابة والارتجال ذهنيا أو فعليا، والنص الرحلي ينتمي إلى التراث النثري العربي بشكل عام باعتباره سردا ووصفا يعتمد إلى رؤية صياغية ومشاهد رؤيوية آو مروية أو حلمية تنحدر من جذور ذات ذاكرة في الواقع المادي فيبعض الحالات، وتنطلق من كونها أشكالا تعبيرية استطاعت من خلال التراكم الذي استدعته الضرورة الثقافية والتاريخية أن تؤسس بناء وصوغ مستقلين ومتفاعلين داخل منظومة النصوص السردية العربية، واستقلالا ايجابيا على أشكال أدبية أخرى (4).

"وتتميز الرحلة بقدرتها على رسم ملامح الأمكنة والأسكنة خارج مقتضيات النمطية المعتادة في الكتابة البحثية بمختلف مجالاتها أو الكتابة الإبداعية بطابعها المعتمد على كفاءة التخيل" (5) .

(1): أنظر المرجع السابق ص 18.
(2): أنظر المرجع نفسه ص 18.
(3): د/ عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب 1912، ص 48.
(4): عائشة ولجي، بلاغة الخطاب السردي في رحلة الورتيلاني، قسم اللغة العربية وأدبها، جامعة منتوري قسنطينة، 2005 – 2006 ص25.
(5): فتحي عامر/ نقلته/ المرجع نفسه، ص 25.

والحقيقة أن هذه الخاصية لا يمكن أن نسلم بها على علاقاتها، إذا قلنا يحدث ذلك بل ربما الحقيقة أمكن حصرها فقط في الرحلات الحديثة، أما الرحلات القديمة فقد كان أهم أصحابها ارتياع الآفاق واختراق المجاهيل بحثا عن المغاير، فلا يمكن لهذه الخاصية أن تستقيم معها، لأن واقع هذه الرحلات التركيز على حاضر المكان دون الغوص في حفرياته التاريخية.

5- كما استطاعت الرحلة حسب ما ذهب إليه عبد الرحيم مؤدن دائما، أن تحقق سرديا تضافر مكونات السردية الصادرة عن مستويات ثلاث:

المستوى الأول:

" السارد شخصية مركزية وميزته الأولى أن يكون قيما على إنتاج القول في كل مراحل الرحلة إضافة إلى صنع أحداث الرحلة وتنظيمها في مسار معين، والقيام بدور التأويل وتوزيع مناطق الكلام والحدث على باقي الشخصيات المرافقة للرحالة، وقد لا تتردد الشخصية المركزية في بداية نصها الرحلي بالتعريف باسمها ولقبها وموطنها الأصلي، والأداة المستعملة في الارتجال إضافة إلى الكشف عن أسماء الشخصيات " [(1)]ومما لا شك فيه أن اهتمام السارد بمرجعية المشاركين في إنتاج الرحلة يعود بالدرجة الأولى إلى جوهر الخطاب في المتن الرحلي هذا الخطاب الذي يحرص فيه سارده على قول الحقيقة ولا بد من الإشارة إلى أن الحقيقة تنطلق من رؤية السارد كما أنها تعود إلى كيفية الرؤية عند المتلقي أو المسرود له.

المستوى الثاني:

" مما لا شك فيه أن ارتباط هذا المستوى بالمستوى السابق لهو أمر بديهي، ومن ثم فإنتاج السارد يخضع لخصوصية السارد سواء من حيث مرجعيته الثقافية والإيديولوجية أو من حيث تقنية الكتابة أو السرد، ومن ثم [(1)] :

المرجع السابق، ص 17 -18.

" كما تمثل الرحلة ثروة معرفية كبيرة، ومخزنا للقصص والظواهر والأفكار، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطه الرحالة" (1).

3- أنواع الرحلات:

يمكن تقسيم الرحلات إلى قسمين: رحلات واقعية ورحلات خيالية.

3-أ- رحلات واقعية:

وهي رحلات فعلية قام بها الرحالة لغرض من الأغراض، وهي ذات قيمة عظيمة لما تسجله من حقائق في الجوانب التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية، ومن أشهر الرحلات الفعلية الرحلة إلى الحج (2)، كانت إحدى أهم الرحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج كما نعرف فريضة واجبة، كان يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات كانت تجمع بين الوازع الديني الروحي والمعرفي وقد يرى العض أن العنصرين- الديني والمعرفي- لا يلتقيان- غير أن الرحلات القديمة في عالمنا في الشرق كانت تشير إلى نجاح هذه الرحلة (3)، والشائع في بلاد المغرب للرحلة هو ذلك الذي تكون له دوافع روحية ويستهدف زيادة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم ورواية الحديث ومثل هذه الرحلة يرتبط بثلاثة مشاهد أساسية، فالأول مشهد الخروج حيث يكون الخارج ضمن ركب منظم يرأسه شخص عارف الطريق، يوصف عادة بالتقوى والأمانة والحنكة وحسم الأمور، ويأتي ذلك مشهد المسير ثم مشهد الوصول ولكل المشاهد طقوسه ومدوناته وأحداثه وأدبياته، ومن أشهر هذا النوع من الرحلات، رحلة ابن فضلان، رحلة ابن بطوطة، رحلة ابن جبير الغرناطي وابن رشيد العبدري.

3-ب- رحلات خيالية:

" وقد تظهر أبرزها في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة وتتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي وأخرى ذهنية للعالم متخيل يجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة تتماشى مع المقولات والتطورات الصوفية

(1): الداية، محمد رضوان /نقلت/المرجع نفسه، ص 27.

(2) : العربي إسماعيل: نقلته / المرجع نفسه، ص 27.

(3): د/ مصطفى عبد الغني: جسر الجمرات من أدب الرحلات، الدار المصرية اللبنانية، الطبقة الأولى، 2004، ص 19.

والفلسفية والدينية التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم أخر يكون بديلا عن الواقع وصولا إلى المطلق واليقين"[(1)] ومن أشهر الرحلات المتخيلة، رحلة ابن شهيد" الزوابع والتوابع" ورحلة المعري " رسالة الغفران" ورحلة ابن طفيل "حي بن يقظان" و "روبنسون كروزو" لدنيال ديغو و"رحلة جالغير " لجوناثان سويفت و "منطق الطير " لفريد الدين العطار، و"رحلة الخلود" لمحمد إقبال.

" وقد يكون الدافع للرحلة مزدوج الأغراض بحيث أن الرحلة الذي تؤهله مواهبه" العلمية وتتمكن فيه غريزة حب الإطلاع يقصد لتسجيل معلومات عن البلاد التي يزورها[(2)].

4- البنية السردية للرحلة:

تقوم الرحلة في بنيتها السردية على عناصر مختلفة تتمثل في الحدث، اللغة، الراوي، الزمان، المكان.

4-أ- الحدث:

" هو العمود الفقري لمجمل العناصر القيمة، يشكل الحدث في الحكاية كما الفعل في الجملة المركز الذي تنتظم حوله شبكة من العلاقات أو توزيع للأدوار من جانب يتمتع الفعل في الجملة بخصائص الزمن والصورة والطريق والشخصية، وفق ذلك، ربما توجد هذه المجموعات في الحكاية" [(3)]وهو في الرحلة مستمد من الحياة اليومية فالرحالة يدون كل ما يراه وما يحدث حوله دون أن يحذف شيئا أو أن يزيد عليه.

4-ب- اللغة:

هي الوسيلة الوحيدة من وسائل التعبير المتاحة للقصاص أو الراوي، إذ يلجأ هذا الراوي لنقل حكايته إلى الآخرين، وكلما كانت اللغة لدى الكاتب وسيلة كان أسلوبه بسيطا يجعله ذلك في متناول شرائح واسعة من المثقفين ويمكنهم من التجاوب معه ويسهل عليه تمرير رسالته أو خطابه[(4)]

[(1)]: فتحي عامر/نقلته/ عائشة ويحي المرجع السابق، ص28.
[(2)]: العربي إسماعيل / نقلته/ المرجع السابق، ص 28.
[(3)]:بركات وائل / نقلته/ الرجع السابق، ص32.
[(4)]: أنظر المرجع نفسه، ص 32.

" وفي نظر عبد المالك مرتاض: " الأديب الحق هو من استطاع أن يستثمر هذه اللغة فيحولها من مجرد مفردات منثورة، وألفاظ معزولة إلى نسيج من القول قشيب هو الأديب الحق وهو الكاتب العملاق، هو اللغة الأدبية نفسها أما من لم تكن له لغة فإنه كالمفلس أو الفقير المعدوم[(1)].

" فاللغة هي مجموعة من القواعد التي ينبغي على متكلمي اللغة أن يلتزموا بها إذا أرادوا الاتصال فيما بينهم أم الكلام فهو الاستخدام اليوم لذلك النظام من قبل
المتكلمين الأفراد [(2)].

4-ج- الراوي:

وهو المرسل الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي له أي القارئ والراوي الذي نجده في الرحلة هو الراوي الشاهد الذي يمكن مقابلته بالكاتب في الدراسات التقليدية حيث يكون صوت المؤلف وراء ستار اللغة وهنا يهيمن الراوي على مختلف جوانبه الشخصية إلا أن صاحبا "أدبية الرحلة في " رسالة الغفران" يفرقان بين الراوي والكاتب و "الراوي كائن شاهد على وقوع القصة فيرويها وفي الواقع هذه التطورات في اعتبار الراوي هوية أدبية لا يعيش إلا مع النص و به، أما الكاتب فهو اجتماعية تمارس وجودها خارج ذلك النص رغم انه منتجه.

والراوي يقوم بوصف الأحداث الرئيسية ويحكم بكل الأشياء والعناصر التي تحكم حياة الشخصيات سواء كانت مادية أو معنوية دون الحاجة إلى الظهور على مسرح الأحداث وللراوي وظائف مختلفة: وظيفة سردية وتخص الراوي بالحكاية ووظيفة تنظيمية متعلقة بالنص السردي، ووظيفة إفهامية وتخص حوار الراوي والقارئ، ووظيفة تأثيرية تتصل بالنواحي الوجدانية والفكرية ووظيفة استشهادية تبين مصادر أخبار الراوي ومدى دقتها، ووظيفة إيديولوجية يرمي الراوي إلى تحقيقها إقناعا أو نقدا، ويمكن تلخيصها في ثلاث وظائف أدبية جوهرية وهي:وظيفة سردية (قصة الأفعال) والثانية وظيفة وصفية (قصة الأحوال) والثالثة وظيفة تنظيمية" [(1)].

[(1)]: المرجع نفسه، ص 32.
[(2)]: أنظر المرجع نفسه، ص 32.
[(1)]: المرجع السابق، ص34.

4- د- الزمان:

"يبني التصوير الراوي على مكونين" مكون سردي عماده الزمان ومكون وصفي عماده المكان وفي الحق يشترك المكان والزمان في أنهما إطاران للأحداث غير أن الزمن يمتاز بأنه متلبس بالحدث ذهنيا أو نفسيا أو ماديا أو جغرافيا أو واقعيا، فالزمن هو الحدث وهو مداه وهو نسقه" [(2)](#)ويرى تودوروف أن قضية الزمن في السرد إنما تطرح بسبب التفاوت الحاصل بين الحكاية وزمن الخطاب وعين ثلاثة أصناف من الأزمنة هي: زمن الحكاية وزمن القراءة وأزمنة داخلية.

زمن الحكاية: وهي زمنية تتمحص للعالم الراوي المنشأ وهي الفترة الزمنية المتصورة.

زمن الكتابة: ويرتبط بالفعل الذي يحقق القصاص عبره تصور زمن الحكاية في الخطاب.

زمن القراءة: وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي.

4-ذ- المكان:

" يحتل المكان أهمية كبيرة على غراء الزمان ويستحيل تناول دراسة تنصب على عمل سردي دون أن ينشأ عن ذلك المفهوم، المكان في أي مظهر من مظاهره ونظرا لارتباط المكان بتقنية الوصف الزمانية يمكن أن يجيء المكان عنصرا تابعا للزمان الروائي على أن ذلك لا يقلل من أهمية في شيء" [(3)](#)

5- أدبية الرحلة:

5-أ- مفهوم الأدبية:

" من المفاهيم المتلبسة في الممارسات النقدية، هذا الذي يزداد غموضا حين يبرز إلى جانب المصطلحات الأخرى كالشعرية « Poétique »على الرغم من أن " رومان جاكبسون" أعطى موضوع العلم الأدبي صبغته النهائية حين قال "إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب، وإنما هو الأدبية « Littérarité » أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.

[(2)](#):المرجع نفسه، ص 30.

[(3)](#): أنظر المرجع نفسه، ص 30- 31

إذا فهي تسمح بتميز كل نص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية وتضعف من مبدأ السببية المباشرة بين ظروف الكاتب وإنتاجه الأدبي، مما يسمح بتفسير دوافع الإنتاج، لا الإنتاج ذاته، وهي طابع ما هو خالص من الأدب أي ما هو شاعري من البداية فالمقصود من الأدبية إذا ضبط المحددات النوعية لجنس ما "

وهنا لا تغفل استغلال النص بخصائصه المميزة، مع ارتباطه في الوقت ذات بالحقل الأدبي السائد فهذه الرحلة محل دراستنا تحقق أدبياتها باقترابها من الأدب وبالابتعاد عنه في آن واحد وفي هذا السياق تستوقفنا مقولة هوراس "الشعر ممتع ومفيد " هذه المقولة التي لو طبقت على الرحلة لكانت أكثر دلالة منها في الشعر ذلك أن جانب الامتناع في الرحلة يحيل على أدبياتها أما جانب الإفادة فيها فيحيل على الفائدة المضمونية المتمثلة أساسا في تنوع المادة في الخطاب الرحلي، فأدب الرحلات على هذا الصعيد ثروة معرفية كبيرة ، ومخزون للقصص والظواهر والأفكار، فضلا عن مادة سردية تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر بها، وهنا تكمن صعوبة الكتابة في الرحلات التي عاناها كل من " محمد المرو" أنيس منصور" فإن كان الأول لا يتصور أدب الرحلات بلا شيء من الأدب قد يصل إلى الخيال ولكن طبعا دون تزوير، فإن الثاني يعني " أنيس منصور" قد أكد حوار له مع المجلة العربية على ضرورة توفر شريطين أساسيين ترتقي بهما الرحلات إلى مصاف الأدب هما:

أن يكون الرحالة أدبيا بالدرجة الأولى، ورحالة بالدرجة الثانية.

أن يمزج فن الترحل والحكايات بالصياغة الأدبية، لينتج عملا أدبيا مادة متنوعة فأنت إذا تتصفح رحلة ابن بطوطة تجد الرحلة ولكن الأدبية فيها محدودة بينما نجد الأدبية في رحلة ابن جبير ولكن الرحلة فيها" (1)

(1): المرجع السابق، ص17.

5-ب- المحددات الأدبية في الرحلة:

" بحثا عن المحددات الأدبية في الرحلة أسعفنا الدكتور عبد الرحيم مؤدن بمقال له بعنوان " رحلة أدبية أم أدبية الرحلة؟" هذا المقال الذي حاول فيه حصر المحددات الأدبية في المتن الرحلي نلخصها فيما يلي:

1- تعد هيمنة بنية السفر على النص من أهم محددات الأدبية في المتن الرحلي وإن كلن السفر حاضران في كل النصوص حضورا ماديا أو مجازيا، غير انه يكون بنية ثانوية بالقياس إلى بنية مركزية فمثلا الرحلة في الشعر يكون السفر فيها بنية ثانوية أما مركزية بنية الشعر ولأجل ذلك يصبح النص قصيدة دون أن يكون رحلة.

2- أن يكون السفر قصديا، ذلك أن القصيدة فيه تجعل النص الرحلي حاملا لخصائصه النوعية سواء على مستوى المسار العام للرحلة « L'itinéraire » أو على مستوى علاقة النص الرحلي بالنصوص الأخرى، وفي المقام يقول عبد الفتاح كليطوا السفر يسمح بالتصفيف وهو في الوقت ذاته يمكننا من تلمس خصائص الكتابة، ما دامت الرحلة نوعا أدبيا يقلص من دور المصادقة ويقدم لنا بقدر كبير، قواعد إنتاج النص وقواعد تلقينه معا.

3- لا يقتصر السفر على فعل الارتجال فحسب بل إن السفر يعاد على مستوى الكتابة فينتج لنا السارد الجوال Le nonoteurombulant الذي يتجول بسرده في الأمكنة ومتكأة في ذلك كله الوصف الذي يعد احد اللبنات التي أسهمت إدخال أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي كما ينص على ذلك "حسين محمد فهيم" في قوله " ونظر لارتقاء الوصف في كثير من الأعمال الرحالة وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على الأسلوب القصصي السلس والمشرق، أدخلت أدبيات الرحلات متعة ذهنية كبرى.

وهنا نود الإشارة إلى أن أدب الرحلات العربية كان فضاء واسعا لاختيار ما صار يسمى في أدبيات الكتابة الغربية المعاصرة (جماليات المكان) أو (شعرية الفضاء)[1] « poétique de l'espace »

4- من خصائص الكتابة الرحلية تقديم الخلفية الارثبولوجية للموصفات ذلك أن الرحالة لا يكتفي بتقديم المرئي أو الآتي، بل ينطلق من الموصف المباشر بواسطة حركة ارتدادية يسترجع تاريخه الموصوف وتحويلاته.

[1]: المرجع السابق، ص 17.

والحقيقة أن هذه الخاصية لا يمكن أن نسلم بها على علاقاتها، إذا قلنا يحدث ذلك بل ربما الحقيقة أمكن حصرها فقط في الرحلات الحديثة، أما الرحلات القديمة فقد كان أهم أصحابها ارتياع الآفاق واختراق المجاهيل بحثا عن المغاير، فلا يمكن لهذه الخاصية أن تستقيم معها، لأن واقع هذه الرحلات التركيز على حاضر المكان دون الغوص في حفرياته التاريخية.

5- كما استطاعت الرحلة حسب ما ذهب إليه عبد الرحيم مؤدن دائما، أن تحقق سرديا تضافر مكونات السردية الصادرة عن مستويات ثلاث:

المستوى الأول:

" السارد شخصية مركزية وميزته الأولى أن يكون قيما على إنتاج القول في كل مراحل الرحلة إضافة إلى صنع أحداث الرحلة وتنظيمها في مسار معين، والقيام بدور التأويل وتوزيع مناطق الكلام والحدث على باقي الشخصيات المرافقة للرحالة، وقد لا تتردد الشخصية المركزية في بداية نصها الرحلي بالتعريف باسمها ولقبها وموطنها الأصلي، والأداة المستعملة في الارتجال إضافة إلى الكشف عن أسماء الشخصيات " [(1)] ومما لا شك فيه أن اهتمام السارد بمرجعية المشاركين في إنتاج الرحلة يعود بالدرجة الأولى إلى جوهر الخطاب في المتن الرحلي هذا الخطاب الذي يحرص فيه سارده على قول الحقيقة ولا بد من الإشارة إلى أن الحقيقة تنطلق من رؤية السارد كما أنها تعود إلى كيفية الرؤية عند المتلقي أو المسرود له.

المستوى الثاني:

" مما لا شك فيه أن ارتباط هذا المستوى بالمستوى السابق لهو أمر بديهي، ومن ثم فإنتاج السارد يخضع لخصوصية السارد سواء من حيث مرجعيته الثقافية والإيديولوجية أو من حيث تقنية الكتابة أو السرد، ومن ثم [(1)] :

المرجع السابق، ص 17 -18.

فالسارد في الرحلة يمتلك إستراتيجية فإنها تختلف من شخص لأخر ولهذا فإن زيادة عدد من الرحالين لنفس المكان لا ينجم عنه ذات الخطاب، وقد ارتأى عبد الرحيم مؤدن " أن يمثل لهذا بالحديث عن باريس من خلال رؤى عدد من الرحالة، فهي مثلا عند الشدياق في (الساق على الساق فيما هو الفرياق) مثوى الأبالسة، وهي عند العمراوي في (تحفة الملك العزيز لمملكة باريز) جنة النساء وجهنم الخيل أما بالنسبة لمحمد بن باديس الجعايدي في (إتحاف الأحبار في غرائب الأخبار) المتعة والملاحظ أن الفارق بين هؤلاء الثلاث مما غدا بالباحث إلى أن يدعو من موقع هذا الاختلاف والائتلاف سرديا إلى تأسيس مدرسة متكاملة في الكتابة الرحلية وإن كان الباحث حصر جل اهتمامه على النصوص الرحلية المتعلقة بالأدب المغربي الحديث خلال القرن 19 أو ما يسمى بعصر النهضة، تلك التي تناولتها نازك سابا يارد في كتابها " الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة" لما تميزت به هذه الرحلات من خصائص سردية تدعو إلى الاهتمام" (1)

ج- المستوى الثالث:

يتمثل في الضمائر : يعد المستوى مكملا للمستويين السابقين.

استنادا لخطاب الحقيقة المشار إليها، وتتأرجح الرحلة عادة بين ضميرين هما المفرد والجمع دون أن يمنع ذلك من فراد نية المتكلم، ويمكن حصر طبيعة هذا الاستعمال لهذه الضمائر .

1- الملكية الرمزية للنص المتمثلة بواسطة الضمير المفرد، بعد أن سطر الرحالة ملكيته المادية في ديباجة النص من جهة ونهايته من جهة ثانية وذلك عن طريق ذكر اسم العلم الحقيقي وللتنبيه أن البداية والنهاية تنتميان إلى خارج النص مما دعا ملكية رمزية مغايرة.

2- المسلم به في النصوص الرحلية أن استعمال ضمير الجمع إنما يكون الهدف منه إشهاد الأخرى على المرويات، خاصة إذا علمنا أن قسما لا باس به من هذه المرويات يسمو بنا إلى عالم أخد يعج بالقصص عن زنوج إفريقيا، وعرائس البحر واكلة لحوم البشر، وسكان نهر الفولجا وأساطير بحرية كثيرة يقف المتلقي أمامها في حيرة

(1): المرجع السابق ، ص 19 - 20.

واندهاش لما تحتويه، وفي هذه الحالة أيضا يمكن أن يظهر الضمير الغائب بجانب الصوت الحامل للاسم الصريح.
3- يتم تقديم الصوت المفرد وصوت الجمع بالصياغة النحوية المجردة وفي حالة وجود صياغة سردية معينة تعكس موقفا محددا، فإن ذلك يتم لصالح المفرد، ثم إن حضور هذه الأصوات في الرحالة هو على قدم المساواة بين الأموات والأحياء، ومن ثم حضرت أصوات الرحالة السابقين من ابن جبير وابن بطوطة إلى الطهطاوي...الخ بجانب الذين انتقاهم الرحالة من رواة الأمكنة المرتحل إليها" (1)

6- أهمية الرحلات:

لقد ظل أدب الرحلات موضع اهتمام للعديد من المناهج كالجغرافيا و الأنثروبولوجيا والأدب المقارن، فقد حدد زكي حسين في كتابه الرحالة المسلمون في العصور الوسطى أهمية الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون في الكشف الجغرافي والمعرفي بقوله " وحسبنا لتبيان فضل الرحلة المسلمين، أن ينتهي بنا المطاف إلى أن دراستهم على نحو واف دقيق لا بد منه لكل بحث في تاريخ التجارة، أو النظام السياسي آو التاريخ الاجتماعي في الشعوب الإسلامية والأمم التي اتصلت بها، فان ما كتبه الرحالة المسلمون من وصافتين وجغرافيين تعد وثائق عظيمة الشأن في تاريخ الإنسانية وفي استطاعت الباحث أن يستخرج منها شتى الحقائق ومختلف ضروب المعرفة" (2) كما " أن الرحلة على الصعيد الأنثوغرافي كانت خزانا راصد لثقافة الإنسان حيث يحدد موضوع الأنثوغرافيا أنه الوصف الدقيق والمترابط لثقافات المجتمعات الإنسانية " (3) حيث قام الرحالة من هنا الجانب، بمسح خصائص الثقافات المختلفة كالعادات والتقاليد والمطعم والمشرب والملبس والمعاملات اليومية والممارسات الدينية ويندرج ضمن ذلك دراسة البيروني لثقافة الهند التي مكث بها " زهاد الأربعين

(1): الخامسة علاوي، ص 20.
(2): يوسف بكارود/ خليل الشيخ: الأدب المقارن، الوحدة السابقة، (د.ط)، القاهرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة 2008، ص 210.
(3):محمد حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت، 1989، ص 25.

سنة" [1] ويعد أدب الرحلات إحصاء أنثوغرافي في غاية الإفادة لدراسات الثقافة والحضارة الإنسانية من منطلق أنثربولوجي.

أما على المستوى الديني " فقد كان حافز نشر الدين السبب الأول في اغلب الأحيان في مباشرة الرحلة هذا الحافز الذي أملته حالة الحضارة الإسلامية التي كانت في أوج عطائها وازدهارها، وما صاحبها من فتوحات وتوسعات امتدت من غرب الصين شرقا إلى البحر الأطلسي غربا، حيث أن رجال الرحلة الدين سافروا أو جابوا البلاد اجتازوا المسافات هم الدين مهدوا للتوسع الإسلامي " [2] وهذا التوسع أيضا كان وازعا دينيا دفع بالعلماء والفقهاء إلى زيارة الأمصار البعيدة، مدفوعين بهاجس الجهاد والدعوى إضافة إلى العقل الموسوعي الذي كان يتمتع به الرحالة، وهي في ذلك ينزع نحو إقصاء الاختصاص والتدفق.

كما تكمن أهميتها وعلاقتها بالعلوم وبالجغرافيا خاصة إذا قلنا أن فن من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى أخرى من نواحي الحياة فإننا نقول أن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يعطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها أو يسمعها أحيانا، وينقلها في رحلته، ولا شك أن الرحالين يختلفون أيضا فيما بينهم في درجة ملاحظتهم وفي اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها ومن هنا فالرحلات كمبدأ رغم الاختلاف والتنوع في الاتجاه والتقدير [1] ولها قيمتان عظيمتان: قيمة علمية وأخرى أدبية.

أما القيمة العلمية فقد تأتي لهما مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها مما يدونه الرحالة في غالب الأحيان من جراء اتصاله بالطبيعة وبالناس خلال

[1]:أنظر فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي (د.ط)، الدار العربية للكتاب ، ص300.

[2]: أنظر المرجع السابق، ص 164.

[1]: أنظر: د/ حسني محمود حسين، أدب عند العرب، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، ص10.

رحلته، فان الرحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات وتفسيرها، ليضعها بين أيدي الجغرافيين وعلماء الاجتماع كل بحسب اختصاصه، فان كان علم الجغرافيا مثلا يدرس ظاهرة سطح الأرض والطبيعة البشرية يقوم منهجه في ذلك على تسجيل هذه الظاهرة وتفسيرها، فهو يعمل في خدمة هذا العلم من هذه الناحية على الأقل، إذ لم يتجاوزها إلى الخطوة التالية لما في منهجه في ذلك على تسجيل ظاهرات سطح الأرض والطبيعة البشرية، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأقاليم والمدن والمسالك وعن ظاهرات توزيع السكان وغير ذلك من صميم الدراسات الجغرافية ومثل ذلك يمكن أن يقال في الرحالة بالنسبة لباقي العلوم التي يتعرض لمجال دراستها، ومن المعروف أن بعض المؤرخين والجغرافيين العرب يعتبرون رحالين إذ كانوا يجمعون مواد موضوعاتهم عن طريق الرحلة قبل أي طريق آخر وعلى هذا فان من عليه أن الرحالين العرب قدموا على مر العصور، خدمات جلية في دراسة أحوال البلاد الإسلامية من مختلف نواحيها، ولم تقتصر إفادتهم في ميدانهم هذا على البلاد الإسلامية وحدها وإنما نقدوها في رحلاتهم وأخبارهم إلى بلاد أجنبية أخرى في أسيا وإفريقيا وفي أوروبا فيما بعد، ولما يكن وصلها الإسلام، فأمدونا عنها بمعلومات من الدرجة الأولى خصوصا إذا قورنت المعلومات بما كان يعرفه العالم عنها في العصور الوسطى حتى الكشوف الجغرافية المتأخرة لدى الأوروبيين، ولقد كان للرحالة العرب فضل كبير قدموه للإنسانية الجغرافيين، ويتجلى في حفظهم ودراستهم للمادة الجغرافية الهائلة التي أورثها العلماء اليونان للعصور الوسطى واستفادتهم من هذه المادة استفادة كبيرة ولا يقلل كثير من قيمة ما كتبه الرحالون العرب في المادة الجغرافية ما خضعوا فيه للنظريات الموروثة عن الأوائل وأما عن القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى في ما فيه من أساليب ترتفع إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، وبالرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي المعتمد إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن ابرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، مما حدا بالدكتور" شوقي ضيف" إلى اعتبار أدب الرحلة عند وقد أفاد أدب الرحلة [1]العرب "خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة" بغنى

:المرجع السابق، ص 10.

موضوعاته، في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثار للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه مما يفتقده كثير من الأدباء و المحترفين في بعض عصورنا الأدبية، ولا يعني أن الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية الأخرى، فهو يعتمد السجع أحيانا، وهو ينحو منحى الجفاف والصرامة العلمية أحيانا أخرى خاصة في تناوله الموضوعات العلمية ومع هذا يظل مشوبا في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والاخضرار بتفانيه غضا وعلى شيء من اللين " فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب" وبهذه المتميزات والخصائص المتعلق بأسلوب أدب الرحلة وبموضوعه الشمولي الفني بما فيه من علم وأدب وخرافة وأسطورة، يمكننا اعتباره نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي، قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر والمسرحية أو المقالة الأدبية مثلا ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاته من غير تضبطه معاييرها وان يخضع لمقاسها [2].

1-6- أغراض الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص لأخر ومن قوم إلى قوم ومن عهد لعهد إلا أنها في الأغلب لا تخرج على أن تكون:

أ/ دوافع دينية:

" وتكمن في أن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة، وتطهير للنفس من دنس الذنوب، وعهد للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة ومن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر" [1].

ب/ دوافع علمية أو تعليمية:

[2]: المرجع السابق، ص10.

[1]: فؤاد قنديل، ص 19.

" بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبناءها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ونذكر كتب الحديث والسير أن الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار، ويعبر الأنهار طلب لحديث نبوي يسمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي وابن منده والأحنف العكبري الشاعر، ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا، فما أكثرهم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية" [2].

ج/ دوافع سياسية:

"وتتمثل في الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيد لفتح أو غزو" [3]

د/ دوافع سياسية وثقافية:

" تصدر عن رغبة في الطوائف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهد والمغامرة، ومعرفة الجديد من الخلق والطبيعة واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص والوفرة أو العمل" [4].

ه/ دوافع اقتصادية:

" للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات ملحية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص " [1]كما كانت تجوب الأقطار هنا وهناك لتعود إلينا بحكايات ورويات"

و/ دوافع صحية:

تتمثل السفر للعلاج أو الاستشفاء أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتجال وتنذر

[2]: المرجع نفسه، ص 19.
[3]: المرجع نفسه، ص 20.
[4]: المرجع نفسه، ص 20.
[1]: المرجع نفسه، ص 19.

في بلد المسافر وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث"[(2)].

ي/ دوافع أخرى:

" هناك أسباب للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العنين آو الهروب من العقوبة مهما كان غرض الرحلة فإنها في أغلب الأحيان تعتبر سلوك إنساني يؤتني ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها، هو من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه"

فهل الدول الإسلامية قبل الفتح هي ما بعده؟ ومصر قبل رفاعة الطهطاوي ليست هي بعده، وابن بطوطة قبل أن يجوب البلاد ويطوف بالأمطار شرق وغربا ليس هو نفس الرجل الذي أب إلى وطنهن وجلس في مقعد العلم وقضاء يملي خبرته وتجاربه ويقال مثل ذلك عن ابن خلدون وابن جبير وابن حوقل والمقدسي والإدريسي وغيرهم وكان يبشر [(3)]يقول:

" يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء إذا ساح طاب وإذا طاب طال مقامه في موضع تغير"

وليس من شك أن السفر جامعة تحمل بالدروس والعبر، وتحتشد بالعلم والمعرفة وتحتشد العقل والوجدان وتزيد في الفهم والإدراك، وتصقل الشخصية بفضل قساوة التجربة وحرارة المواقف ورهبة المغامرة وطلعة الجديد في كل شأن ومواجهة المفاجآت، وتحمل مشاق الغربة والسفر، والاطلاع على الطبائع المختلفة والاعتياد على الغريب والتمرس بمعاملته.

أما التدرب على استعمال مفاتيح اللغة الجديدة، فهو المعين على كشف حجب المجهول من الأقوال والأحوال، ولم يعد الكاتب الفرنسي سافاري الحقيقة عندما قال:" إن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان" ومن تصبح الرحلة اليد

[(2)]: المرجع نفسه، ص 21.

[(3)]: المرجع نفسه، ص21.

التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب، وأقواما إلى أقوام، تفصل بينهما البحار والقفار وسبحانه من قال:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات 13]** هذا هو السرد إذ أن الله حتى بعد أن هبط آدم وحواء إلى الأرض لم ينزلهما منزلا واحدا، ليبحث كل منهما عن الأخر ويلتقيان، والشعوب لم تخلق في موضع واحد، ولكن الله فرقها ويبث بينها المسافات، وغرس في الجميع في الوقت ذاته فطرة للتعارف واللقاء كما يشير إلى هذا المعنى تقريبا صلاح الشامي:

" صحيح أن كل رحلة قد حققت الهدف لحساب الإنسان ونبض الحياة المستمر على الأرض وصحيح أن الإنسان الذي كرس اجتهاده لانجاز الرحلة ولن يفرط أبدا في جني ثمرات الرحلة والانتفاع بها، ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض، بل لقد فجرت في الإنسان استثمار المصالح المشتركة التي وثقت على هذه الوحدة على الأرض ومن غير الرحلة ينفرط عقد الوحدة، وتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك"(1).

إن سعي الإنسان على قدميه وتحمل مشقة السفر ينبع من حس فطري وتأسيس على استفسار هذا الحس الفطري، جد الإنسان على قدميه وتحمل واجتهد لكي يبتكر الوسيلة أو الوسائل لكي يستخدمها في الرحلة ولكي توسع دائرة انتفاعه بالرحلة، ولكي تؤمن سرعة تحرك الرحلة في الذهاب إلى حيث تريد وتتطلع أو في الذهاب والإياب لحساب حركة الحياة واستجابة لمصالحها، فان الرحلة هي سر وحدة البشر، وهي السبيل إلى عصر وسائل الاتصال الحديثة التي تجاوزت حد التصور، والتي مكنته في أيامنا هذه وهو داخل جدران بيته أن يحصل على كل ما ينبغي ، وأن يرى أي مكان على الأرض وفي السماء وفي أعماق البحار، لذلك فان الرحلة لا تقتصر على صقل الشخصية أو كشف المجهول " لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتغير حصرها خاصة إذا كان الرحالة ممتعا بقوة الملاحظة وشهوة التطلع ويقضة الحواس وحب المحاورة والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل" (1).

(1): المرجع السابق، ص 21- 22.
(1): المرجع السابق، ص 23.

2-6- الأهمية المصدرية لكتب الرحلات:

" إن كتب الرحلات والجغرافيا تشكل مصادر عنها لأي باحث يهتم بحضارات وثقافات مختلفة فإذا كانت كتب الجغرافيا من المصادر الأساسية في البحث عن التاريخ لأسباب معروفة أهمها أن الباحثين القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا، فان الرحلات العلمية القائمة على المشاهدة والمعاينة أكثر إفادة لأنها تعرب من الواقع المراد دراسته"

نعتقد أن دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر الوسيط عموما، تمر بالضرورة من كتب الرحلات والجغرافيا، كما أن تصنيف مادتها ودراستها بشكل معمق من شأنه أن يدفع إلى الأمام بالدراسات التاريخية، ويكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن كتب الرحلات العلمية ساهمت إلى حد كبير في تطوير الدراسات الأنتولوجية [*] و الأنثوغرافيا.

"تجدر الإشارة إلى أن العالم الإسلامي الوسيط عرف رحلات علمية متعددة على امتداد رقعته شرقا وغربا، وذلك عكس أوروبا الفدرالية – فاستنشاء الرحلات التجارية الجماعية على حدود القرن الرابع عشر الميلادي" [2]

[*]: علم يحاول وضع نظرية واضحة يتعامل بها مع مجتمع معين يعتمد على علم الانثوغرافيا التي تهتم بالجانب الوصفي الأولي لحياة هذا المجتمع – تطورت هذه الدراسات بشكل كبير ومعقد أحيانا بمدارسه البحث الأوروبية.

[2]: المولى إسماعيل كلية الآداب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات 1993، مطبعة فضالة المغرب، ص 10.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : أدب الرحلات دوره وعلاقته بأدب الصورة والإستشراق

العلاقة بين أدب الصورة وأدب الرحلة

مفهوم أدب الصورة .

أنواع الصورة .

الصورة السلبية .

الصورة الإيجابية .

دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق.

الإستشراق.

1- العلاقة بين أدب الرحلة وأدب الصورة:

" يندرج موضوع الصورة ضمن الدراسات المقارنة التي تشكل فضاء خصبا للأدب الرحلات الذي يهتم بتسجيل الانطباعات ونقل صورة عن عاداته وقيم الشعوب التي قام بزيارتها الرحالة "[(1)]، " فالرحلات إذن تساهم في تشكيل صورة الأمة في أدب أمة أخرى وهي تكشف بذلك عن طبيعة العلاقة التي تسود بين الأمم والشعوب فلاشك أن حالة العداء تخلق (للأخر) صورة سلبية تسعى الأمم لتبريرها ، ويجمع مفرداتها من عناصر شتى وفي هذه الحالة يجري اختزال (العدو) إلى صورة نمطية [*] يجري التعبير عنها بكثافة ودقة ، أما حالة الإعجاب فتثير صورة إيجابية مشرقة يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية والسياسية والاجتماعية ، التي صدر عنها ذلك التصور"[(2)].

2- مفهوم أدب الصورة:

إن تحديد ماهية الصورة تحديدا دقيقا صعب لأن الفنون بطبيعتها تكره القيود، نحن حين نتحدث عن أدب الصورة يكون لزاما علينا أن نشير إلى أن الصورة لا تعني فقط ذلك الشكل الجسدي، وإنما أيضا ما يتعلق بالفكر والأدب والفلسفة.

الصورة كلمة عربية معرفة بالألف واللام (ال) في أولها ، ومؤنثة تأنيثا أصليا لا إضافيا [(3)]شأنها في ذلك شأن العديد من الكلمات مثل : امرأة ، مملكة ، حديقة ، لا يمكن حذف تائها[(4)]، وهي مشتقة من الفعل الماضي (صور) الذي مضارعه ومصدره (تصوير)، والصورة لغة تعني:

أ/ الشكل لقوله تعالى : " في أي صورة ما شاء ركبك"[(5)].

[(1)]: محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن : دار العودة ودار الثقافة ط5،.بيروت، ص419.

[*]صورة نمطية صورة اختزالية تجسد صورة الأخر في ذهن الأنا وهي في الأغلب صورة مثالية وكريمة ومركزة.

[(2)]:د/ يوسف بكار ود/ خليل الشيخ: الأدب المقارن: القاهرة الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص210. الوحدة السابعة.

[(3)]: التأنيث قسمان:- 1: أصلي لا تضاف إليه التاء مثل شمس ليلى صورة.

2: صناعي تضاف إليه تاء التأنيث مثل تلميذ -

[(4)]:لا يجوز أن نقول مذكرة الصورة هو صور.

[(5)]: القرآن الكريم: الآية 3، سورة التغابن.

ب/أما الفعل صوَر يعني إعطاء الشيء شكلا معينا: قال تعالى: " صوركم فأحسن صوركم "[1].
ج/ وأما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني : فالتصور إذا عقلي أما التصوير فهو شكلي "إن التصور هو العلاقة بين الصورة والتصوير وأداته الفكر فقط ، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة"[2].

اصطلاحا:

الصورة هي أداة الخيال، و وسيلته، ومادته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه.

إن طبيعة الإنسان الفطرية والتي جبله الله عليها الانفتاح على الأخر ليلبي حاجاته المعيشية من أكل وشرب وتنمية قدراته المعرفية من علم ودين ويعد هذا السبب من أحد العوامل الرئيسية في ظهور بوادر أدب الرحلات ، وقيامه فيما بعد كفن مستقل بذاته

3- أنواع الصورة: هناك نمطين من الصورة يشكلهما أدب الرحلة

الصورة السلبية: " من بين الرحلات التي أسهمت في بناء صورة سلبية ذات أبعاد نمطية للشرق العربي رحلة أدواردلين edWard lane التي أدرجها سنة1836 م أقام لين بمصر خمس سنوات، وقد حرص أدواردلين المستشرق ، المشغول بعوالم "ألف ليلة وليلة " عن نقل الصورة المثيرة التي تؤكد التماهي بين عالم الخيال والواقع ، وترضي نزعة الغربيين في [3]البحث عن الصورة المثيرة "

وخلاصة هذه الرؤية يتمثل في " أن الشرق مملوء بالظواهر الشاذة التي ليس بمقدور اللغة التعبير عنها لأنها في غاية المجون والعنف.

وعندما يتحدث عن النموذج المصري المعاصر فإنه يعطي مثالا بالمتصوفة الذين يبقرون بطونهم ويخرجون أمعائهم ، ليعرضوها على الحضور من أجل التسلية، ثم يتحدث عن إباحية النساء في مصر[1]، فقد حظيت المرأة

[1] القرآن الكريم: الآية 8، سورة الإنفطار.

[2]: مجلة الرسالة م ج 2 السنة 2، ع64/24/09/1934 ص 1756 جابر عصفورة الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، بيروت المركز الثقافي العربي، 1992، ص14.

[3]: يوسف بكار خليل الشيخ: الأدب المقارن: (سبق ذكره)، ص 211 .

[1]:المرجع السابق، ص 212.

من حديثهم بصفحات طويلة فالغربيون لا يرون فيها غير تخلفها ويعتبرون أنها لا يقام لها وزن وأنها أداة لا يرعى بها شأن ولا يحفظ لها حق، فقد وصفوا قصور الأغنياء الأمراء وجرى بهم الخيال بعيدا وكان موضع استملاحهم ومثار سخريتهم وصف تلك القطعان من نساء بيض يرعاهن قطعان سود، لهم عليهم سلطان مطلق في الحراسة "(2).

" وقد خلص ادوارد لين إلى إصدار أحكام على المصريين بأنهم سريعو الغضب وعنيدون، جشعون، لا يعرفون الصدق.

وقد تكررت هذه الرؤية عند رحالة أخر، هو ريتشارد بورتوت Burton Richard الذي تنكر في زي أمير فارسي من انجلترا إلى مصر سمى نفسه (الشيخ عبد الله) وادعى أنه أفغاني ثم ذهب إلى الجزيرة العربية وتمكن من أداء فريضة الحج وقد تأثر بروتون في رؤيته إلى الشرق بألف ليلة وليلة التي ترجمها كما فعل لين إلى الانجليزية، غير أن إحساس بروتون بقيود المجتمع الإنجليزي دفعه إلى البحث عن أفاق تمارس فيها قدرا واسعا من الحرية ، فعاش جنديا في الهند وتحرك في البلاد العربية، يجمع بين الزي الشرقي والرؤية الأوروبية ويقدم رؤية تخدم صناع الإنجليز فيما يخص هذه الشعوب ذات المستوى الثقافي البدائي، لقد رسم بورتون صورة سلبية ماجنة للمرأة الشرقية لا يعرف مقدار علاقتها بالخيال ، في "ألف ليلة وليلة "(3).

" ويخلص إلى توكيد صورة الشرق للقارىء الأوروبي حيث يقول " إن ما مر بي من أحداث، وتعاملي الطويل مع العرب، وغيرهم من المحمديين وحسن معرفتي ليس فقط بمصطلحاتهم، بل بطريقة تفكيرهم، كل ذلك أعطاني بعض الميزات عن الدارس العادي، مهما كان متعمقا في دراسته، وإن من يضم ما كتبه بل أكثر مما يعرف أوروبيون عديدون أمضوا نصف حياتهم في بلاد الشرق

(2): الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه (سبق ذكره)، ص 314 (أنظر).
(3): يوسف بكار /خليل الشيخ: (المرجع السابق)، ص 214.
(1): حلمي ساري: صورة العرب في الصحافة البريطانية، نقله يوسف بكار، ص213.

فقد تكررت هذه الصورة في كتابات لورنس (المعروف بلورنس العرب) في كتابه "أعمدة الحكمة السبعة " يرسم لورنس للعرب صورة نمطية تؤكد الرؤية السابقة، يقول: "إن عقولهم غريبة ومظلمة، مليئة بالكآبة والشعور غير السوي بالأهمية، عقول تفتقر إلى الهداية، لكن فيها من الحماسة والخصوبة في الإيمان أكثر من عقول الناس أجمعين[2].

ثم يخلص إلى أن العرب " دوغماتيون ، بسطاء ، سطحيون ، ضيقو الأفق"

الصورة الإيجابية:

"لقد كان الاحتكاك بين العرب والغرب في العصر الحديث يأخذ طابع الرحلة إلى باريس وبالطبع فإن هذه المدينة الساحرة رسمت لنفسها صورة إيجابية في رحلات من زاروها وفتنوا بجمالها "[3].

"فقد أقام الطهطاوي في باريس منذ عام 1826 حتى عام 1831 وسجل مشاهداته في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ، كما أقام الشدياق في باريس مدة سنتين ، سجلها في كتابه " الساق على الساق فيما هو الفارياق" أما فرانسيس المراش فقد سافر إلى باريس عام 1866م و أقام فيها سنتين وفي المرحلة كتب "رحلة باريس" وسافر أحمد زكي باشا إلى باريس ، فكتب "السفر إلى المؤتمر" سنة 1900 و كتب محمد كرد علي كتابه" غرائب الغرب" إثر رحلته إلى هناك سنة 1910.

لقد تنوعت هذه الرحلات لكنها أجمعت كلها على رسم صورة إيجابية الملامح والأبعاد، يمكن تلخيصها فيما يلي:[4]

الربط بين باريس والجنة : لقد اتخذت المدينة ملامح إيجابية مطلقة فتم الربط بينها وبين الجنة ، ولعل المراش يسجد في " رحلة باريس" هذا الرابط عندما قال

[2]: المرجع نفسه، ص 213.
[3]: رنا قباني: (أساطير أوربا عن الشرق)، نقله يوسف بكار، ص 213.
[4]: المرجع نفسه، ص 213.
[1]: المرجع نفسه، ص 214.

باريس يا جنة هذا العــصر   عروسة الدنيا وعرس الدهر
إليك تجري الناس مجرى النـهر   فأنت في الأرض محل البشر

الربط بين باريس وفكرة التقدم : إذا كان الربط بين باريس وبين الجنة مكانيا فإن الربط بين باريس وفكرة التقدم فلسفي الأبعاد ، وقد تجلت هذه الفكرة في حديث طه حسين عنها في " الأيام" وفي "من بعيد" مثلما تحدث توفيق الحكيم عنها في "زهرة العمر" وزكي مبارك في ذكرياته، وبدت باريس في هذه الكتب نقطة الانطلاق نحو مشروع حضاري ، وتكون باريس فيه بما تجسده من مبادئ فكرية نموذجا يقتدى به فمحمد كرد علي يحيي باريس بقوله "سلام عليك" ويذكر: أنها عشيقة الإبداع، و واضعة حقوق الإنسان، ومهد المعارف وبلد فولتير وديكارت، وروسو، وهيغو ....

" لقد خلقت هذه الكتابات صورة إيجابية لمدينة باريس في الأدب العربي الحديث، فتغنى بها أحمد شوقي في قصيدته الشهيرة:

جهد الصيابة ما أكابد   لو كان ما قد ذقته يكفيك [2].

وأضفى عليها طابع القداسة ، مثلما تغنى بها خير الدين الزركاني ومحمد مهدي الجواهري وغيرهم"[3].

4- دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق:

تعد حضارة الشرق والعراق الأدنى من بين الحضارات التي ضاع صيتها في التاريخ والأسطورة و أطلالها هي أقدم بكثير من عصر النهضة، فقد أثارت هذه الأطلال فضول الباحثين، وكانت المعلومات تصل عن طريق رحلات المؤرخين الإغريق ولم تكن تصل الأخبار عن العراق القديمة إلا عن طريق أخبار التوراة وروايات الرحالة الكلاسيكيين أمثال: هيرودوث زنيغون وسترابون وغيرهم ولهم الفضل في تعريف الغرب على أحوال الشرق ابتداء من القرن 12 قبل أن تبدأ التحريات والتنقيبات في القرن19 "[1].

[2]: الشوقيات (1/81).
[3]: المرجع نفسه، ص214.
[1]: انظر أدب الرحلة والتواصل الحضاري: (سبق ذكره)، ص 23.

" وتعد رحلة السائح اليهودي بنيامين التطيلي سنة 1160 من أولى الرحلات، كما تعد رحلة بول بوتاليردور لنصن عام 1842 من أولى التحريات الأثرية [(2)].

كانت هذه الرحلات من أهم المصادر المعتمدة في الكشف عما يعرفه العالم اليوم عن حضارة الشرق القديمة كالآثار التي تركها أهل تلك الحضارة من نقوش فنية على أختامهم الأسطوانية وكتاباتهم على التماثيل المسلات والألواح الطينية، والأساطين والأوعية ناهيك عما تركوه من نصوص القوانين والشرائع والأساطير والقصص والملاحم الشعرية والتراتيل الدينية والمقالات، وقد انطلقت هذه الرحلات في منتصف القرن 16 ونشطت في القرن 17 لكن يمكن اعتبار والمصادر الكلاسيكية لتاريخ حضارة الشرق وبلاد ما بين النهرين هي البداية الحقيقية لأدب الرحلات وبعد هيرودوت (480-425) الملقب بأبي التاريخ قد أطلعنا على أحوال العراق القديم وقد تميز بولوعة سرد الحكايات والقصص والأساطير "

" وقد عاصر هيرودوت المؤرخ زينغون (430-355 ق.م) الذي ترك مجموعة من الأخبار العراق والإمبراطورية الفارسية الأخمينية ومن الرحالة اليونان المشهورين بوليبيوس polybuis(202-120 ق.م) الذي ألف في تاريخ الرومان وذكر أحوال عالم البحر الأبيض المتوسط وأحداثه التاريخية ، وكان أول من استعمل كلمة ميزوبوكاميا (ما بين النهرين) لإطلاقه على الجزء الأوسط والشمالي من أرض الرافدين، وتجدر الإشارة كذلك إلى الجغرافي الشهير سترابون Straboneفي حدود (64 ق.م إلى 19 م) الذي اشتهر لمؤلفه عن جغرافية العالم، وصف فيه الأقاليم المعروفة آنذاك و منها بلاد بابل و أشور، و وصف أحوالها الماضية، و أسوارها المشهورة و جنائنها المعلقة التي يذكرها بالمصطلح الإغريقي Kremostos Kepos.

كما دَون المؤرخ الرماني كورتيوس روفس (Curtius Rufus)، (القرن 1 م) تاريخ الإسكندر، تطرق فيه إلى وصف بابل[(1)].

[(2)]: أنظر المرجع السابق، ص24.

[(1)]: المرجع نفسه، ص 25.

كما اشتهر المؤرخ الروماني بليني الأكبر peliny (23 أو 24-79 م)، بمؤلفاته التاريخية و الجغرافية أشهرها كتابة المعنون التأريخ الطبيعي الذي وصف فيه جغرافية القارات المعروفة في زمنه و عادات أهلها و مواردها و وصف بعض المدن القديمة مثل "سلوكية،"أرتميتا" و "الوركاء"، ومن كتاب الرومان أيضا أريان (95-175 م) الذي أشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الأكبر في كتاب بعنوان حملة الإسكندر و جاءت فيه أخبار عن بلاد بابل و بلاد الهند و الإستكشافات البحرية التي قام بها قائد الإسكندر (نيرخش) في الخليج العربي و البحر الهندي إضافة إلى الكاتب الروماني كلوديوس ألبانوس (ق 2 م) الذي روى في جملة أخباره قصة عن البطل الشهير جلجامش و سماه "كلكاموس" بالإضافة إلى هذه المعلومات الواردة في كتب هؤلاء الرحالة و التي صنفت ضمن المصادر الكلاسيكية، بدأ الغرب يتعرف عن أحوال العراق و بلدان الشرق الأدنى بوجه عام".

"و قد عمل رحالة القرن 12 على نقل نماذج من آثار العراق إلى أوروبا و من بينها الألواح الطينية المدونة بالكتابة المسمارية، مما مهد إلى حل رموز الخط المسماري و الشروع في التنقيبات الفعلية بالمنطقة و منهم بنيامين التطيلي بن يوحنا الذي يعتبر أول سائح (سبق ذكره)" [2]"قد اهتم في مذكراته بالجاليات اليهودية في الأقطار التي زارها خاصة العراق و عندما ترجمت رحلته إلى الفرنسية و الإنجليزية أثارت اهتمام المؤرخين في أوروبا خاصة أن الأمر متعلق ببقايا مدن يعرفونها و يحنون إليها لأنهم يشعرون بالانتماء إليها و لهم فيها ذكريات (الكتاب المقدس و الأماكن المقدسة، الحملات الصليبية و ما تبقى منها من أثار"[3].

"أما رحالة القرن 16 فكانوا من الحجاج و رجال الدين و كانت الرحلة إلى الشرق بالنسبة إليهم نوعا من التكملة للحج إلى الأراضي المقدسة، و قد تميزت كتاباتهم بعداء شديد للمسلمين و المسيحيين حتى وصفوا بالصليبيين المتأخرين، و لعل هذا العداء ينبع من عرقية أوروبية كاثوليكية".

فلم يكن يبالي هؤلاء الرحالة الأوائل بمخاطر البحر و من القرصنة (من قبل قبائل سورية و فلسطين)، حيث كان همهم الأساسي هو الوصول إلى القدس فقد كان المبشرون و حتى التجار و الدبلوماسين الذين يزورون الشرق

[2]:المرجع نفسه، ص26.

[3]: المرجع نفسه، ص27-28.

يبدأون زيارتهم بها بعدها ينطلقون إلى سوريا أو مصر، و كان الانطلاق غالبا ما يكون من روما قصد الحصول على البركة الرسولية التقليدية، و من مشاهير رحالة هذا القرن 16 العالم الطبيعي و الطبيب الألماني راوولف و زار العراق في 17 النبيل الإيطالي بيروديلا فاله Pietrodella vallé و استغرقت رحلته عشر سنوات (1616 إلى 1625) قرار بقايا بابل في سنة 1616.

و في النصف الثاني من القرن 17 عرف أدب الرحلات انتشارا واسعا في أوروبا و خاصة فرنسا فاشتهر كل من تفينو Thevenot الذي زار العراق و بغداد سنة 1664 و الرحالة تافرنيه الذي وصف بغداد و كذلك بول لوكاس الذي قام برحلة إلى مصر"[(1)].

"و رغم اشتهار هؤلاء الرحالة بالتجارة فإن أسلوبهم قد عرف تحسنا سواء فيما يخص قدرتهم على التنقيب والمقارنة، و قد طبعت في الفترة الممتدة بين 1665 و 1745 ما يزيد عن مئة و خمسين رحلة منها على الأقل مئة رحلة جديدة".

"وقد حملت هذه الكتب حول بلاد الشرق و العراق المفهوم الأوروبي للإنسان والمجتمع و الدين و إلى جانب الطرفة والمغامرة الخطرة التي كانت تطغى على كتب الرحلات، نجدها قد احتوت ملاحظات حول عوائد الشعوب الشرقية و أطباعها بالإضافة إلى أوصاف النبات و الحيوان، كذلك ظهرت المقارنات المفيدة، و ما كان يصفه الرحالة الأوائل بسرعة بالمتوحش و الشاذ عن قوانين الطبيعة، أخذ يصبح تدريجيا مدار تأمل أعمق ومقارنة بين الشعوب من هذا الاحتكاك، بدأت تنمو أفكار النسبية و التسامح التي طبعت عصر الأنوار الأوروبي"[(2)].

إلى هنا يمكن القول أن الرحالة الذين زاروا بلاد المشرق قد اتخذت رحلاتهم إما الطابع الديني أو السياحي أو التجاري أو العسكري، و قد تقدمت مراحل كشف ماضي حضارة الشرق حينما أصبح المهتمون يقيمون في العراق فترات أطول مدفوعين في ذلك بالشؤون السياسية و التجارية مثلا وكلاء الشركات الأجنبية و المقيمين الممثلين

[(1)]: أنظر المرجع السابق، ص28.

[(2)]: أنظر المرجع السابق، ص28-29.

لدولهم، و شملت هذه الرغبة الرأي العام الأوروبي و خاصة إنجلترا حتى أن شركة الهند الشرقية المعروفة في لندن أرسلت مقيما لها في بغداد قصد جلب الألواح و الأجور المختوم بالكتابة المسمارية" [(1)].

أوضاع موريتانية من خلال رحلة أودكس الكوزيكي:

"تعد رحلة أودوكس مصدرا تاريخي يفيد في معرفة مرحلة دقيقة من تاريخ المملكة المورية التي قامت بالمغرب القديم، و هو رجل أعمال ينتمي إلى أسرة ثرية من مدينة كوزيك، الواقعة شمال غرب آسيا الصغرى التي شملتها هيمنة روما خلال القرن 2(ق.م).

"وقد كانت له أنشطة تجارية في العالم الإغريقي – الروماني، حيث كان يملك أسطولا تجاريا و قد قام برحلتين تجاريتين من مصر إلى الهند، و رحلة تجارية بين بلاده و إسبانيا، و قد انطلقت رحلته من مدينة كاديرة الإسبانية باتجاه الهند عبر المحيط الأطلسي و وصل إلى موريسية أي موريطانية"[(2)].

"وتعد رحلة أودوكس هي أولى التجارب الملاحية التي وصلت أخبارها و التي أدت إلى استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط، انطلاقا من شبه جزيرة إبريا، أما هدف الرحلة فهو القيام بمشروع تجاري لجلب المواد المتوفرة في المجال الأثيوبي على الخصوص، و هذا المشروع يعتبر استثمار لتوسيع أفاق التجارة الرومانية التي أصبحت تسيطر على العالم، و اعتبرت موريطانية محطة هامة في الاتصال بالأثيوبيين الغربيين عبر المحيط أو عبر المسالك الصحراوية، حيث تلعب دورا أساسيا في مشروع هذه الملاحة التجارية أما زمن الرحلة فقد أمكن تحديده لسنة111ق.م على أكبر تقدير"[(3)].

5- الإستشراق:

"ظهر مصطلح الإستشراق Orientalism في نهاية القرن الثامن عشر و أن كان الاهتمام بالإسلام و الحضارة العربية الإسلامية قد نشأ قبل ذلك بعدة قرون في إطار الدراسات اللاهوتية، فنشأت بحوث كانت تهدف

(1): أنظر المرجع نفسه، ص31-32.
(2): أنظر المرجع نفسه، ص34.
(3): أنظر المرجع نفسه، ص 36.

للتصدي للإسلام و فيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السياسية و الاقتصادية في دفع الدراسات الإستشراقية في الدول الأوروبية كي تنمو لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، ولذا فإن هذه المنظومة قد لا تعكس حقائق أو وقائع، كما يرى إدوارد سعيد في كتابه "الإستشراق" بل تصور صورة الغرب، و هو يتعامل مع الحضارات الأخرى، من منظور المركزية الأوروبية" [(1)].

كما أن أنور عبد الملك في مقالته الشهيرة "الإستشراق" في أزمة منهجية مهمة يلخصها بقوله:" إن المستشرقين إبتداءا من رينان إلى جولد تسيهر إلى ماكدونالدو، جب و برنارد لويس يعتبرون الإسلام مركبا ثقافيا، لا يمكن دراسته بعيدا عن اقتصاديات الشعوب الإسلامية و حياتهم الاجتماعية و نظمها السياسية إلى أن جاء علماء الاجتماع و الأنتروبولوجيا، فأتبعوا في دراستهم مناهج جديدة تعالج الإسلام كظاهرة شديدة التعقيد[*].

"و يلعب الإستشراق دورا فعالا في التعريف بالتراث العربي، بصرف النظر عن دقته، الذي أدى إلى قيام حركة أدبية في أوروبا تفيد منه، و تنمو من خلال تأثيراته، فقد قام المستشرقون بترجمة"ألف ليلة و ليلة" إلى لغاتهم، و لعل ترجمة أنطون غالان التي نقلت إلى الفرنسية بين عامي 1704 و 1708 تشكل أكثر الترجمات أهمية في هذا المجال، نظرا[(2)] لعمق تأثيرها في الأوساط الأدبية الأوروبية، حتى أن فولتير يعترف بأنه لم يزاول فن القصة إلا بعد أن قرأ"**ألف ليلة و ليلة**" 14 مرة، ثم تأتي ترجمة إدواردلين للكتاب نفسه إلى الإنجليزية بين عامي 1848-1849 و قد كان لهذه الترجمة دور مهم في الأدب الإنجليزي، كما بين محسن جاسم الموسمي في كتابه الوقوع في دائرة السحر، ألف ليلة و ليلة في النقد الأدبي الإنجليزي.

"إن الحديث عن مناهج المستشرقين الأوروبيين في بريطانيا و فرنسا، و ألمانيا و إسبانيا، ثم الو.م.أ و روسيا يحتاج إلى صفحات كثيرة و ذلك نظرا إلى كثرة هؤلاء المستشرقين و تنوع إنتاجهم و غزارته، فقد أسهم أولئك المستشرقين في كتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي فأخرجوا عشرات المخطوطات، و اهتموا بالبرديات العربية، و درسوا ظهور الإسلام و انتشاره، و فلسفته، وترجموا القرآن الكريم و اهتموا بقراءاته و اهتموا بالحديث

[(1)]: المرجع السابق، ص215.

[*] أنظر عبد الملك، الإستشراق في أزمة ت: حسين قبسي مجلة الفكر العربي ع31 (1983)، ص70-105، نقله يوسف بكار، ص216.

[(2)]: المرجع نفسه، ص216.

النبوي، و صنعوا معجما مفهرسا لألفاظه و درسوا شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية و اعتنوا بالفلسفة الإسلامية و درسوا علم الكلام و التصوف و الأخلاق، و درسوا علوم الحضارة الإسلامية و فنونها، و لغاتها و أدأبها.

ففي بريطانيا نجد المستشرق رينولد نيكلسون (1868-1984) في كتابه" تاريخ الأدب العربي "و قد نقله صفاء خلوصي إلى العربية و يقوم الكاتب بعرض تعريفي عام بنشأة هذا الأدب منذ العصر الجاهلي حتى غزو نابليون لمصر عام 1798 م و هو يحاول التعرض إلى العديد من الظواهر الأدبية، و يحاول تعليلها، فيقف عند رواية الشعر الجاهلي الشفوية و نشأة التصوف و يردها لأسباب خارجية، ثم يتحدث عن تأثير الشعر".[(1)]

الشعر العربي في الشعر الأوروبي و خاصة شعر الثروبادور، ثم يتحدث عن "ألف ليلة و ليلة" و شهرتها في الغرب.

"أما في فرنسا فكان بلاشير أحد المستشرقين الذين قضوا فترة طويلة من فترات تكوينهم الثقافي و الوجداني في شمال إفريقيا، فقد رحل إلى المغرب في الخامسة عشرة، و حصل على شهادته الجامعية في اللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر سنة 1922 م و مارس وظائفه الأولى في التعليم الثانوي و الجامعي بالمغرب العربي، قبل أن يسند إليه منصب تدريس العربية الفصحى في مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة 1935 م و من خلال مقامه في باريس أعد رسالتين لدرجة الدكتوراه و كانت إحداهما عن أبي الطيب المتنبي و الثانية عن صاعد الأندلسي، و ظل النشاط العلمي لبلاشير مزدهرا حتى وفاته في الثالثة و السبعين برغم أنه أصيب بالعمى في العقدين الأخيرين من عمره، و ظل محافظا على صلته الحية بالعالم العربي، فقد كان عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة و دمشق إلى جانب عضويته لأكاديمية الفنون و الآداب في فرنسا[(1)] و من أهم مؤلفات بلاشير:

"L’histoir de la littérature arabe des origines à la fin du X Ve siecle" تاريخ الأدب العربي من البداية حتى نهاية القرن 15، و هو كتاب اقترح فيه بلاشير تقسيما جديدا لتاريخ الأدب العربي، و قد استطاع

[(1)]: يوسف بكار، المرجع السابق، ص217.

[(1)]: د/ أحمد درويش: الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي: (د/ط)، القاهرة ، دار غريب للطباعة، ص 27.

بلاشير أن ينجز من كتابه هذا ثلاثة مجلدات قبل أن يدركه الموت، و قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية على يد: د/إبراهيم الكيلاني، و صدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة 1974 م.و قد نشر بلاشير رسالته التي أعدها للدكتوراه بعنوان: شاعر عربي من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي: أبو الطيب المتنبي، و قد ترجمها أيضا إلى العربية د/إبراهيم الكيلاني ونشرت في دمشق عام 1975، و قد رأى كثير من الدارسين أن دراسة بلاشير هذه كان لها تأثير في كتاب طه حسين "مع المتنبي".

و قد عن الجغرافيين العرب كتابه "اقتباسات من أعلام الجغرافيين العرب في العصور الوسطى Extrais des principausc géographés arabes du moyen age".

و في هذا الاتجاه وجه تلميذه أندريه ميكيل الذي كتب رسالته عن الجغرافيا الإنسانية، و كتب حولها عدة دراسات من بينها الدراسة التي ترجمت في هذا الكتاب حول "إمبراطورية الإسلام و تجسيدها الشعوري في الأدب الجغرافي".

وقد اهتم بلاشير كذلك بالدراسات القرآنية فقدم سنة 1974 م كتابه " مدخل إلى القرآن Introduction au coran"، ثم قدم ترجمة للقرآن سنة 1950 م رتب فيها الآيات حسب النزول، ثم أعاد تقديمها سنة 1957 م مراعيا فيها ترتيب المصحف العثماني، و يضم هذا الكتاب إحدى دراساته المتصلة بالقرآن و أثره في نشأة المعجم العربي.
وفي مجال الدراسات المحمدية، قدم بلاشير عدة دراسات عن شخصية الرسول الكريم اتسمت في مجملها بالاعتدال و الإنصاف و الميل إلى النظرة الموضوعية[1].

أما أندريه ميكيل، فقد ولد سنة 1929 في جنوب فرنسا، و أتم دراسته بمدرسة المعلمين العليا و درس العربية على يد بلاشير، و عمل عقب تخرجه في دمشق و بيروت بالمعهد الفرنسي للدراسات العربية، ثم عمل في أثيوبيا فترة عامين في أواسط الخمسينات، و عندما عاد إلى فرنسا ليعمل في وزارة الخارجية، اختار كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي ليجعل من ترجمة بعض فصوله و دراسته أطروحته الأولى للدكتوراه، و عندما عين سنة 1961 مستشارا ثقافيا لفرنسا بمصر، اتجه إلى أن يجعل رسالته الثانية للدكتوراه عن

[1]: المرجع السابق، ص28.

الحياة الثقافية بمصر، لكنه تعرض لمحنة بسبب الخلاف الذي كان بين فرنسا و مصر حول القضية الجزائرية آنذاك، ودعم جمال عبد الناصر لاستقلال الجزائر، و قد زج بميكيل في السجن أين سجل مذكراته بعنوان "وجبات المساء" "Les repas du soire"، و قد غادر مصر بعدها و جعل أطروحته الثانية للدكتوراه بعنوان "الجغرافية الإنسانية للعالم الإسلامي حتى منتصف القرن 11"

"La géographie humaine du monde musulmon jusqu'au milieu du X I siecle.

و قد نشرت ترجمته العربية في دمشق سنة 1986 م، و من أهم مؤلفات أندريه ميكيل إلى جانب ما ذكرنا:

الإسلام و حضارته"l'eslam et sa civilisation" و قد نشر سنة 1968 م و ترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية.

كتاب الأدب العربي "La litterature arabe" و قد ظهر في تونس مترجما إلى العربية.

سبع حكايات من ألف ليلة و ليلة "Septs contes des milles et une nuit".

ترجمة قصة ليلى و المجنون إلى الفرنسية.

ترجمة ديوان المعبد الفريق لبدر شاكر السياب[1].

أما في ألمانيا يمكن الإشارة إلى بروكلمان (1868-1956) و جهده في كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي أمضى بروكلمان أكثر من 20 سنة في تأليفه، و فيه تعريف بهذا الأدب و أصحابه، و مخطوطاتهم و مكان وجودها في العالم.

أما إسبانيا فكانت الدراسات التي تقف عند الأدب العربي و تأثيره في الآداب الأوروبية من اختصاص آنخل جنثالث بالنثيا (1889-1949)، كذلك له كتاب "تاريخ الفكر الأندلسي" الذي عرض فيه لأبرز الشعراء و الفلاسفة و المتصوفة رابطا ذلك بالأحوال السياسية في الأندلس.

[1]: المرجع نفسه، ص29-30.

أما في روسيا فكان كتاب"دراسات في تاريخ الأدب العربي" لصاحبه أغناطيوش كراتشكوفسكي كتاب تعريفي ليعَرف فيه بالشعر الجاهلي، ثم بالشعر في العصور المختلفة، ثم يتحدث عن ظواهر فنية كظاهرة البديع محللا لأشعار شعرائه، و منهج ابن المعتز في دراسته، كما يعرف بالأدب الأندلسي، و يقف في النهاية عند قصة ليلى و المجنون.

أما الو.م.أ فتشارلز آدمس كتب " الإسلام و التجديد في مصر" الذي ترجمه عباس محمود، و فيه يعرض لجهود الأفغاني و محمد عبده و غيرهما من زعماء الإصلاح، و قد أشاد بدور "العروى الوثقى" و أثرها في الإصلاح، و الملاحظ أن الجهود المستشرقين قد أسهمت في تعريف لقارئ الغربي بالأدب العربي و تجلياته هاته الجهود قد أفضت إلى قيام مجموعة من الأدباء في الغرب و على رأسهم الشاعر الألماني غوته الذي كتب عن الشعر العربي و أعجب بمعلقاته و استوحى هذا الإعجاب في ديوانه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" و من هنا تحولت صورة الشرق العربي التي كانت سلبية عند دانتي في "الكوميديا الإلهية" إلى صورة ذات أبعاد إيجابية انعكست في الفن الرومنسي الأوروبي، حيث صار للشرق منبعا للسحر و الخيال.[2]

ومن هنا كان الإستشراق رغم تحفظ الدارسين حول نتائج أبحاثه، وسيط نقل الآداب العربية و أسهم في تقليص الهوة الثقافية بين الشرق و الغرب، كما أسهم في إحداث نوع من الاهتمام على الصعيد الثقافي في الغرب، فقد خلفت نوعا من الاهتمام بالشرق تجلت في أدب الرومانسيين أمثال غوته، و فكتور هيغو، ولسنج[1].

الذين اعتبروا الشرق مهبط الإلهام الرومانسي و قد هتف شليجل عام 1800 "هناك في الشرق وحده علينا أن نبحث عن الرومانسية في سموها"[2]، "مما جعل الإنجليز و الفرنسيين و الألمان يتنافسون على فك رموز الكتابات الشرقية القديمة بما فيها الهيروغليفية، لكي ينتزعوا أسرارها و ينشروا نصوصها و الشروح الخاصة بها"[3].

[2]: د/يوسف بكار و د/خليل الشيخ الأدب المقارن:(سبق ذكره)، ص217-218.

[1]: المرجع السابق، ص221.

[2]: المرجع نفسه، ص221.

[3]: أنظر د/ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن: (سبق ذكره)، ص310.

وقد رأى هؤلاء في الشرق الحرية و الهدوء و حب التأمل بما يحقق للأديب الرغبة في الهروب إلى عالم الطبيعة، مثلما أسهمت بعض هذه الدراسات على الصعيد الآخر في رسم صورة سلبية للشرق، يبدو فيه غامضا و شهوانيا و متعصبا إلى حد الهوس، و يسعى الأدب المقارن من خلال دراسات الصورة إلى تحليل العوامل التي أدت إلى تشكل الصورتين و محاولة فهمها".

الفصل الثالث

الفصل الثالث: صورة المشرق في رحلات الغربين.

المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب.

صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز.

صورة المشرق في الأدب الفرنسي.

صورة المشرق في الرحالة الألمان.

صورة الجزائر في عيون الرحالين الأجانب.

-أ- المؤلفين الألمان.

-ب- المؤلفين الفرنسيين.

I- أدب الرحلة عند الغربيين:

"يرى مصطفى ماهر أن رجال الدين على الأغلب كانوا أسبق أهل الغرب في العصر الوسيط إلى تسجيل رحلاتهم، ولكن الملاحين و المحاربين كانوا أسبق الناس إلى الخروج من أوطانهم.

وتعد رحلة المطران أركولفوس Arculfus عام 697 م إلى مصر و فلسطين أقدم رحلة في العصر الوسيط و كانت أوروبا في ذلك الوقت لم تتحد فيها ألمانيا و فرنسا و غيرها من البلدان بحدود واضحة لذا كانت اللاتينية هي أقرب لغة إلى قلم الكاتب، كذلك فعل الراهب "برنارد" عندما دَون رحلته التي ساقته إلى البلاد المقدسة عام 870 م و فيلليبرانت الأولد نبورجي الذي نزل فلسطين في عام 1211 م و قد جمعت أخبار هذه الرحلات التي قام بها رجال الدين و غيرهم في كتاب قيم نشر عام 1900 م في مدينة (أسبروك) بالنمسا من طرف الباحثان (وريشت) و (هايسنر)"[1].

"وقد تميزت كتب الرحلات في هذه المرحلة بالتصاقها بالكتاب المقدس فقد تضمنت ذكر الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة، و البحر الأحمر الذي عبره موسى بقومه، و الجبل الذي تلقى فيه موسى التوراة.

لكن سرعان ما تطورت كتب الرحلات و لم يعد الحج إلى بيت المقدس هو الهدف، بل أصبح السعي وراء العلم و المعرفة و الحرص على تسجيل الملاحظات و وصف البلاد و العباد يشد الكثير من الرحالة"[2].

"وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأت أوروبا تتعرف على الإسلام، بعد أن عاشت قرونا مرعوبة منه و نافرة، و ترقب خائفة مذعورة مما أحدثه من تغيير في ميزان القوى العالمية، فبدأت تدرس واقعه بطريقة علمية عن طريق الرحلات و مراكز الأبحاث الجامعية[3].

وقد تعددت الرحلات وتنوعت وشملت العديد من الدول وأصبح الشرق يشكل الكعبة التي يتوافد إليها الرحالة الغربيون.

(1): أنظر كارستن نيبور: رحلة إلى مصر (1761-1762)ت: د/مصطفى ماهر ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص5.

(2): أنظر (ألمانيا و العالم الخارجي)ت: مصطفى ماهر، بيروت، 1974، الفصل المعنون (رحالة بحاثة في البلاد العربية)، ص277.

(3): د/ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط4، القاهرة، مكتبة الأدب، ص 308.

1 - الرحلات في الأدب الإنجليزي:

تعتبر رحلات كابتن كوك وإيوثين "لكنجليك" و رحلات "جاليغر " لجوناثان سويفت و روبنسون كروزو ولدنيال دييغو من الأعمال التي تدخل ضمن أدب الرحلات في الأدب الإنجليزي.

ويمكن التمييز بين نوعين على الأقل من كتب الرحلات.

النوع الأول: وهو وصف الرحلة الذي يشكل نوعا متخصصا من الكتابة يدخل في باب الأدب إذا اكتملت له بعض الصفات الأدبية.

أما **النوع الثاني:** فهو نوع من الأنواع الأدبية المعروفة كالدراما والشعر والرواية، يتخذ شكل الرحلة أو تشكل الرحلة عنصرا هاما من عناصر تكوينه، كما هو الحال في كوميديا شكسبير المعروفة (العاصفة) وقصيدة (الملاح العجوز) للشاعر الرومانسي (كولريدج).

كما يمكن أن تكون الرحلة خيالية على مستوى الواقع الخارجي، كما هو الحال في قصة (روبنسون كروزو) التي يقوم فيها البطل الخيالي برحلة يدعي الكاتب أنها رحلة حقيقية تنتهي به إلى جزيرة غير مأهولة، يعيش فيها بمفرده[1] .

يمتاز الرحالة الإنجليز فيما بين (1550 – 1660) أمثال هالكوت و دامبير وانسون كل له أسلوبه واتجاهه الخاص، ومع ذلك فقد كانت تجمع بينهم صفات عامة أهمها أنها جميعا رحالة في المقام الأول، أما هدف معظمهم فكانت إعطاء المعلومات التي كانت مفيدة أكثر منها شيقة، وقد امتازت الرحلة خصوصا حوالي القرنيين السادس والسابع بالتجارة أو اكتشاف بلاد جديدة أو الحصول على الذهب مما قرض نوع من الحبكة على الرحلة.

أما مقدرة الرحالة الأدبية في جعل أسفارهم قصة مثيرة ويرجع إلى استعمالهم ألفاظ سهلة وأسلوب خالي من الصنعة وخلق جو المكان الذي يصفونه بشكل يشعر القارئ وكأنه يتابع الرحلة بنفسه.

[1]: د/ إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال المصرية ،ع7، القاهرة دار الهلال، 1975، ص 50.

ومن الرحلات التي ميزت هذه الفترة "الرحلات البحرية الرئيسية"، 1989 لرتشارد هاكلوت(1552-1616) و"اكتشاف أعيانا 1596 للسيرو الترالي.

أما في القرن الثامن عشر الذي اتسعت فيه رقعة الإمبراطورية البريطانية حتى شملت الهند فإتسع مجال الرحالات و شملت جميع بقاع العالم تقريبا، و في منتصف القرن الثامن عشر أصبحت الرحلة إلى إيطاليا و فرنسا حلم الجميع، و زادت الرحلات إلى الشرق و إلى مصر "[1].

و في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر اتجه الاهتمام إلى إفريقيا، " و هذا الاهتمام كان بدافع الاستعمار فقد أرسلت بريطانيا بعثات عسكرية لاكتشاف دواخل إفريقيا و الاستفادة منها تجاريا و سياسيا و ربط علاقات مع القبائل الإفريقية و قد اختير مجموعة من الضباط عرفوا بشغفهم للسفر و ارتياد المناطق المخيفة".

"وقد وقع الاختيار على الضابط ألكسندر جوردون لينج الذي امتاز بحبه للسفر و البحث عن المخاطر، وقد دَون رحلاته على شكل رسائل و ملاحظات نالت شهرة واسعة امتازت بالمهارة و الدقة في الوصف، وكان لينج ينشد من وراء رحلته إلى الشهرة فأراد اكتشاف ما لم يكتشفه غيره من الرحالين، فوجد نهر النيجر لغز محير شغل بال الكثيرين فانطلق يبحث فيه"[2].

"و مما يلاحظ على أدب الرحلات في القرن 19 أن الاهتمام لم يعد مقتصرا على وصف البلاد، بل أصبح العلماء الطبيعيين يقومون برحلاتهم بدافع علمي و من أهم هذه الرحلات رحلة البيجيل (1839) لتشارلز داروبين، وقد قام فيها بجمع كمية ضخمة من العينات البيولوجية التي استخدمها في نظريته عن النشوء والارتقاء، كما لا تخلو هذه الرحلة من الجمال والقدرة على اجتذاب القراء"[3].

كما يعد كتاب جورج بورو "الثورة في اسبانيا " 1843 من أشهر كتب أدب الرحلات خلال هذا القرن وقد استطاع الكاتب أن يخلق جو اسبانيا ويضفي الحيوية على البلاد وسكانها"[4].

[1]: أنظر المرجع السابق، ص54.

[2]: ضابط إنجليزي برتبة رائد، (1794- 1826).

[3]:أنظر رحلتان عبر ليبيا: (رحلة هورنمان و الرائد جوردون لينج)، ط1، نقله إلى العربية دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984، ص184.

[4]: د/ إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال المصرية ،ع7، القاهرة دار الهلال، 1975، ص 56.

أما الكاتب الشهير لورنس فكتب رحلاته تتمتع بالشهرة فرحلته[1] "البحر وسردينيا" التي قام بها في 1921 من صقلية إلى سردينيا ومنها إلى ايطاليا تعد رحلة نادرة، أما كتابه (الفسق في ايطاليا) فوصف فيه الحياة في قرية على بحيرة طردا، حيث أمضى لورنس بعض الوقت، وهنا يخلق لورنس روح المكان وينفد إلى حياة الناس وتظهر شخصية الكاتب في صورة غضب من الحياة في تلك القرية التي تحولت شيئا فشيئا إلى حياة الآلات، فقد أحب لورنس الحياة الطبيعية البدائية وكره الحياة الصناعية والسعي وراء المال، والبعد عن الطبيعة وجمالها وبساطتها، كما كتب لورنس " صبحيات في مكسيكو" أما فوستر فله روايتان عن الهند الأولى بعنوان " جبل ديفي" وهي مجموعة من الرسائل يصف فيها رحلته إلى الهند واستنادا إليها كتب رواية " رحلة إلى الهند" وهنا ينقل الكاتب ما تثيره الهند في نفسه من إحساس بالإثارة والترفيه والفضول ويدون انطباعاته المباشرة بوضوح عما يقابله من أشياء وأحداث"[2].

2- الرحلات في الأدب الفرنسي:

أرادت فرنسا التعرف على بلدان العالم عن طريق الرحلات التي قام بها العديد من الرحالة واستفادوا كثيرا منها، " فقد جاء الطبيب الرحالة فرانسوا برينيه (1920 – 1688) إلى مصر والشام عام 1654، كما أقام في الهند حتى سنة 1668 وأصبح طبيب السلطان المغولي أورنجيديت (1658 – 1808) ثم عاد إلى وطنه فرنسا يحمل معه ترجمة فارسية لكتابه "Upmoshads ".

وقد كان فرانسوا برينيه يتردد على صالون مدام دي لاسبير (1636 – 1693) وصديقه لافونتين الذي أعجب بمجموعة من الحكايات الخرافية ترجمت من الفارسية إلى الفرنسية عام 1644 تحمل عنوان " كتاب الأنوار" أو "أخلاق الملوك".

[1]: المرجع السابق ، ص57.
[2]:المرجع نفسه، ص57.

وفي سنة 1697 نشر أنطوان جالان "المكتبة الشرقية" وهي سجل حافل بتراث الإسلام، وقائمة غنية بالمصادر العربية، كما قام جالان بترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الفرنسية"[1].

وقد تعددت أسباب هجرة الرحالة فمنهم من يبحث عن لقمة العيش ومنهم من يدفعه حسه الفني المرهف إلى البحث عن القديم و تذوقه ومنهم من يبحث عن الحرية في بلاد أخرى، فقد هاجرت مادام ديستايل إلى ألمانيا ضائقة ذرعا بما تعانيه فرنسا من طغيان نابوليون، ومن تحكمه من حرية الأفكار فيها، وقد جاءت أفكارها مشووبة بنوع من المثالية التي تحلم بها وقد كانت الصورة التي رسمتها مدام ديستايل صورة غير صادقة ومبالغا فيها لأنها لم ترهن ألمانيا غير رجال الأدب من المجتمعات الأرستقراطية ورجال السياسة وبعض الفلاسفة في برلين"[2].

3- الرحلات في الأدب الإيطالي:

" يعد كتاب " عجائب الدنيا" أو " المليون" لصاحبه ماركوبولو و الرحالة الشهير من أقدم ما كتب في أدب الرحلات في ايطاليا (1254 -1324) و هو عبارة عن مذكرات تاجر برع ماركوبولو في تسجيلها بدقة ورصد كتلال ما رأى وكل ما شد انتباهه، وقد أثار هذا الكتاب اهتمام جمهور القراء الغربيين على اختلاف مستوياتهم وبلادهم ومعتقداتهم"[3].

"ويقوم الكاتب في كتابه بسرد ذكرياته وهو في سجنه بعد خمسة عشرة عاما من عودته من رحلته الطويلة التي قادته إلى الشرق والتي دامت أربعة وعشرين سنة وهي فترة شبابه، وقد امتاز رحالنا بحب الإستطلاع والولع الشديد بالبحث عن كل ما هو عجيب وغريب كما أنه ينتقل بسهولة ويسر في حديثه عن الموارد والمواد التي تشغل اهتمام التجار، ثم يتحدث عن الناس وعن معتقداتهم و فضائهم ورذائلهم وعاداتهم"[4].

"ومما لا شك فيه أن كتابه (المليون) يعتبر من أهم ما كتب في أدب الرحلات في إيطاليا وذلك من الناحية التاريخية فهو من أول المؤلفات التي كتبت بإحدى اللغات العامية التي كانت تسود ايطاليا في ذلك الحين وإذا ما

[1]: د/ الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط4، القاهرة، مكتبة الأدب، ص 310.
[2]: المرجع نفسه، ص 420.
[3]: د/ سوزان اسكندر مجلة الهلال: (سبق ذكره)، ص 68.
[4]: المرجع نفسه، ص 69.

انتقلنا إلى القرن 18 نجد أن أدب الرحلات يتخذ الطابع الفكري العام لعصره ويمثل في حد ذاته لونا هاما من ألوان النثر في تلك الآونة، فقد تعددت ميول الكتاب ورجال الفكر واهتماماتهم باحتكاكهم ببلاد وعادات وتقاليد ومجالات وشخصيات معاصرة لهم سواء في ايطاليا أو في مختلف البلاد الأوروبية"[1].

ومن المؤلفات الجديرة بالذكر في هذا المجال والتي ترتبط ارتباطا وثيقا من حيث المضمون بمشاكل عصر التنوير وفكره، (رحلات أتريكو ونطن) في الأراضي الإستوائية المجهولة، وفي مملكة القردة، وقد نشر عام 1764 بالبندقية لكاتبه "الفينيسي الأرميني" الأصل – سيرمان (1708- 1784) يعرض الكاتب في كتابه هذا لتجارب فاشلة عاشها صديقان إنجليزيان (انريكو) و (روبرتو) في بيئة خيالية في أراضي تسكنها شعوب همجية، خرافية، وعن طريق هذا العرض أراد الكاتب أن يصور بالرمز والتشبيه، عادات عصره وفكره في أسلوب ناقد ساخر، وبهذا الأسلوب كان الكاتب يتطلع إلى إرساء مجتمع حسب مبادئ الفكر المستنير"[2].

" أما خط أدب الرحلات بين أنماط الأدب في القرن 20 فقد كان وفيرا ويرجع ذلك إلى التقدم الكبير في وسائل المواصلات وسرعتها مما ساعد الكثيرين على الانتقال في سهولة ويسر إلى بقعة من بقاع العالم، كما يرجع ذلك إلى عامل هام أخر ألا وهو أن بعض الكتاب عملوا كمراسلين للصحف ومندوبين لدور النشر في بقاع كثيرة من العالم وهكذا نالوا حظهم من الرحلات التي قاموا بها في بلاد غريبة عليهم وكان أن سجلوا رحلاتهم وأحاسيسهم في إنتاج أدبي وفير.

ومن بين هؤلاء جويد وبيوفيني (1907 -1974) وهو من الأسماء اللامعة في الأدب الايطالي منذ ح ع II ونشرت له روايات عديدة منها (النجوم الباردة) التي نال عنها جائزة سنة 1970م، كان بيوفيني يعمل مراسلا صحفيا لجريدة "(كوريري ديلاسيرا)"[3](1935- 1952) ولجريدة (لاستامبا) منذ 1952 م هذا إضافة إلى أنه كان يشترك في تحرير المجلة الأدبية (سورلاريا) وقد ساعدت ظروف عمل الكاتب في الصحافة على كثرة سفره والتقائه بمجالات ومجتمعات مخالفة في انجلترا وبولندا وبلغاريا وفرنسا والولايات المتحدة، فانعكست صورة هذه

[1]: المرجع السابق، ص 70 – 71.
[2]: المرجع نفسه، ص71.
[3]: المرجع نفسه، ص 72.

المشاهد واللقاءات على كتاباته العديدة ولذا فان كتبه عن الرحلات اتسمت بقدرته على تصوير ما يصادفه، ومع أن هذا التصوير كان وليد الواقع إلا انه لا يخلو من إحساس الكاتب " لن نمر على ايطاليا دون أن نتحدث عن الكاتب الايطالي الكبير ألبرتو مورافيا فقد اهتم هو الأخر بهذا اللون ونشر مؤلفات عديدة كانت كلها وليدة زيارة لبلاد مختلفة مثل الاتحاد السوفياتي والهند والصين وبلاد إفريقيا، فقد كتب " شهر في الاتحاد السوفياتي" 1958 و" فكرة عن الهند 1962" و " إلى أية قبيلة تنتمي؟" 1972.

يتحدث مورافيا عن بلاد إفريقيا، عن نهجه وغرضه من الكتاب على النحو التالي: " كتبته أثناء رحلتي في إفريقيا التي قمت بها للترفيه عن نفسي ورغبة مني في التغرب، دون أن أتعمد إجراء تحقيقات أو بحوث مما يسعى الكتاب إلى إجراءها " عمدا " عندما يكونون بصدد الكتابة عن رحلاتهم في إفريقيا، وددت أن أنقل نفسي فقط وقد جاءت تسمية كتابه (إلى أية قبيلة تنتمي؟) عندما قام مورافيا بجولة في أوغندا رغبة منه في رؤية الأسود، وهنا سنحت الفرصة ليتعرف على الكثير، فوصف طريقة الحياة فيها وتحدث عن عادات القبائل وعن عصبيتها وهناك التقى برجل إفريقي وتبادلا الحديث الذي انتهى بسؤال الإفريقي لمورافيا "إلى أية قبيلة تنتمي؟" وقد شد هذا السؤال انتباه مورافيا وأطلقه على كتابه ومن الخصائص المميزة التي اتسم بها وصف مورافيا لمشاهداته في رحلاته انه لا يقف موقفا سلبيا اتجاه ما يراه أو ما يسمعه بل إنه ينقل نظرته وأحيانا حكمه ويحاول أن يدرسه ويحلله بروح الناقد"[(1)].

"وتحت عنوان (رقصات الأفريقيين لاجوس)، أفريل 1963 يثير رقص الافريقيين اهتمام وشغف مورافيا فيرى مورافيا أن في القارات الخمس هناك شعوب بدائية تعبر بالرقص عن مظاهر حياتها الدينية والاجتماعية لكن الإفريقي هو الوحيد الذي نجح في أن يصبح رجلا حديثا مع احتفاظه الكامل بمقدرته الأصيلة على الرقص حيث يشهد بأن الرقص الحديث الذي يعتبر من مظاهر الحضارة الصناعية يرجع في أصوله إلى الإيقاع البدائي الذي ادخله الإفريقي في العالم الحديث"[(1)].

[(1)]: المرجع السابق، ص74.
[(1)]: المرجع السابق، ص75.

وبينما اهتم العديد من رجال الفكر في أوروبا بوصف المجتمع الأمريكي وعقد مقارنة بين القارة القديمة والقارة الجديدة، نجد أن تحقيقات بيوفيني الدقيقة تتجاوز هذه القاعدة لتعطي صورة للولايات المتحدة بكل دقائقها وخصائصها التي أقيضت روح البحث والدراسة في نفس الكاتب، فقد أتت رحلته في شكل ملاحظات والتي كان يرسلها إلى جريدته بعدما جمعها في كتابه (عن أمريكا).

ولقد نجح بيوفيني في مهمة المراسل الصحفي بمقدرته الكبيرة على الوصف والتحليل وتتبعه لأدق التفاصيل. وقد تحدث بيوفيني عن منهجه المتبع في الكتابه قائلا: "كان في إمكاني القيام برحلة أسرع بهدف بيان الأوضاع العامة في البلد بدلا من الرصد التفصيلي لأجزائها المختلفة، ولكن هذا المنهج [2] كان سيقلل من القيمة التسجيلية للكتابة حتى وإن كانت بعض المميزات من بينها انه يبرز وقائع قد تختفي في زحمة التفاصيل الدقيقة، أو تظل قابعة في المكان الثاني فلا تستطيع الملاحظة المبنية على الأحداث التوصل إليها.

يدون بيوفيني إحساسه اتجاه مظاهر الحضارة الأمريكية في كتابه (عن أمريكا) بأسلوبه الخاص فيقول:" ليست الحضارة الأمريكية حضارة آلية في أساسها فأساسها قلق، مضطرب ولكنها حضارة تمتلك قلعة ضخمة من الآلات نفخر بها، كما نفخر بالأعمال الفنية"، وحين يصل الكاتب في جولته إلى شيكاغو ينتبه إلى ظاهرة يلحظها فينقلها إلى القارئ في سرعة ودقة حياة الشارع موجودة في أمريكا، ولكنها ليست نفس الحياة القائمة في شارع (مونتي نابليون) أو (التشانزليه) إنما هي تختلف عنها اختلافا جذريا لأنها حياة قائمة على المحركات"[3].

[2]:المرجع نفسه، ص72.

[3]: أنظر المرجع نفسه، ص 72-73.

4- الرحلات في الأدب الألماني:

كانت معظم رحلات الألمان تتخذ منحى ديني فقد شكل الكتاب المقدس المنطلق، والحج هو الهدف من رحلاتهم لكن سرعان ما تغير هذا المفهوم وأصبح السعي وراء العلم والمعرفة والحرص على الأخبار العجيبة والمغامرات المسلية يشد الكثير منهم ومن أمثلة الرحلات المدونة رحلة (فون برايدنباخ) وفابري في عام 1483 ورحلة (ارلوند فون هاوف) التي بدأها في عام 1496 وختمها في عام 1499، وحل خلالها في مصر في أيام السلطان المملوكي قاتيباي، وفي رحلة (فون هاوف) يتبين أن أهداف أولئك الرحالة قد تغيرت كما تحل رحلة (ليونهارت راوولف) على أن عصر النهضة قد غير أفكار حملة الثقافة في ألمانيا، وأن التقصير العلمي الدقيق للأشياء بدأ يأخذ مكانه في كتب الرحلات التي انتحت المنحى العلمي وأصبحت تسعى إلى تصحيح الخرائط الجغرافية، والحصول على معلومات ميدانية تفيد في شرح الكتاب المقدس، وفي تطوير المعرفة التاريخية المعتمدة على كتب قدماء اليونان واللتين، وجميع المعلومات العلمية التي تفيد التجار، وتفيد الساسة في بداية عصور الاستعمار الحديث ويتحدث (هانس رودولف رينجر) عن رحلة راوولف فيقول: "نزل ليونهارت راوولف في سبتمبر من عام 1573 طرابلس- لبنان وظل حتى عام 1576 يجوب سوريا ومنطقة نهر الفرات وكردستان وكان في هذا الوقت المبكر حريصا على الأسلوب العلمي في ملاحظاته التي دونها، ومجموعاته التي جمعها" (1).

خرجت الرحلات إذن عن النطاق الضيق الذي كانت محصورة فيه واتجهت الاتجاه العلمي، ثم "اتجهت إلى الإمتاع على طريقة الروايات الأدبية المسلية المليئة بالمغامرات وتعتبر رحلة (يوهان قيلد) الذي وقع في الأسر أثناء الحروب مع تركيا، وبيع كما يباع العبيد وجيء به إلى الشرق في عام 1604 نموذجا لهذا النوع من كتب الرحلات، فيوهان قيلد رجل بسيط لا يطمح إلى إثراء العلوم بشيء بل يحكي قصة حياته المليئة بالمغامرات وقد راج الكتاب رواجا شديدا وتعددت طباعته، ويمكن القول أن أنواع الرحلات وهي: الرحلة العلمية، الرحلة المسلية، الرحلة الدينية، الرحلة السياسية أصبحت واضحة المعالم، وإن كل نوع منها سار في طريق التطور فمنها ما انكمش مثل

(1): أنظر كارستن فيبور: رحلة إلى مصر، 1761-1762،ج1، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتب4343، 1977، ص6.

الرحلة الدينية ومنها ما عظم شانه مثل الرحلة العلمية التي تسعى إلى كشف جغرافي أو جيولوجي أو أثري، وتعتبر رحلة كارستن نيبور (1733 -1815) حلقة هامة في سلسلة الرحلات العلمية.

وقد تولدت فكرة هذه الرحلة العلمية عندما اخذ الأستاذ (يوهان دافيد ميشائيليس"[1](1717 -1791) يطبق في شرح الكتاب المقدس منهجا قائما على الرجوع في تفسير الكلمات والعبارات المختلفة إلى الواقع الملموس وكان من الضروري أن يذهب واحد من علماء اللغات السامية إلى البلاد العربية وقد تم رفع هذا الطلب إلى البلاط الملكي الذي وافق على هذا الطلب واختير كارستن نيبور"[2].

وتعد هذه الرحلة أول بعثة استطلاعية المنتظمة التي أرسلها الملك الدنماركي في عامي (1761 – 1767)، وقد امتاز كارستتن نيبور بالدقة العلمية في وصفه لبقايا اثأر بابل نينوى وفي استنساخ نماذج للخط المسماري"[3].

[1]:المرجع السابق، ص7.

[2]: أستاذ بجامعة جوتنجن بألمانيا.

[3]: أنظر المولى إسماعيل: أدب الرحلة و التواصل الحضاري، سلسلة الندوات، 1993، مطبعة فضالة المغرب، ص29.

II- المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب:

بدا اهتمام الغربيين ببلاد الشرق ومبعث ذلك أسباب كثيرة فمنهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها وأثارها، دارسا لغاتها وتاريخها وصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات و وضعوا الخرائط، ومنهم من وجه اهتمامه إلى مصنفات الأقدمين.

ومع بدايات القرن 19 عشر تعدى الإنجذاب إلى الشرق مرحلة الدهشة والانبهار لدى الرحالين الأجانب إلى محاولة اكتشاف جديد للشرق و رغبة في معرفة أدق عن الأخر ما بين روائع آيات الماضي و معاقد التاريخ من ضفاف النيل وطور سينا إلى المغرب العربي باختلاف مناطقه وما يحف بهذه الأصقاع من اثأر مقدسة، وما نهض في أحضان هذا التاريخ من إبداعات فكرية وحضارية تكونت حصيلة ضخمة من معارف أوروبا عن الشرق، وقد مكن الإستشراق الاستعمار الأوروبي من التوسع، فكانت عيون المستشرقين تتجه نحو بلاد الشرق ولم يكن ما كتبوه مجرد تسجيل لإنطباعتهم بل تلقوا تدريبا أكاديميا مكثف تشرف عليه جامعة، وتمتعوا بالدعم المالي من حكوماتهم والجمعيات والمؤسسات العلمية.

وقد اتسمت أوصافهم بالدقة، حيث نجد كثيرا من التفاصيل في عرض دقيق للمدن العربية فحصا للتقاليد وأنماط السلوك ودراسة للأوضاع الاجتماعية والثقافية التي لا تخلوا من نوازع سياسية واستكشاف لما يحقق مصالح دولهم، وقد نقل هؤلاء الرحالة أثناء تواجدهم بالمشرق العربي ما انطبع في حياتهم، نتيجة لما رأوه في أسفارهم من مناظر طبيعية[1] ومعالم حضارية وعادات قومية.

1- صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز:

"حضيت مصر باهتمام الرحالة الانجليز في أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر وقد أدى هذا إلى ازدهار أدب الرحلات الخاصة بها فمرده إلى ظهور ترجمات جديدة لكتاب " ألف ليلة وليلة" ثم نتيجة للحملة الفرنسية وما أثارته من اهتمام بتاريخ مصر وأثارها وأهميتها الإستراتيجية ويعتبر النقاد أشهر كتب

[1]: بورايو عبد الحفيظ: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، رسالة ماجستير،شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري قسنطينة ،2007 -2008.

الرحلات الإنجليزية ما كتب عن مصر ومن أمثلة ذلك إلى جانب (المصريين المحدثين) اليوثين (1844) لكنجليك، ويعتبرها النقاد أشهر كتب الرحلات في الأدب الإنجليزي على الإطلاق و(الهلال والصليب) لأليوت وأربرتون وكتاب هاربيت مارتينو " الحياة في الشرق حاضرها وماضيها" 1846م و "حياة القرية في صعيد مصر" (1852) لبين سانت جون، ثم رحلة من كورنهيل إلى القاهرة الكبرى" 1846 للراوئي الكبير ثاكري وفي هذه الكتابات يتجلي سحر مصر نيلها وصحرائها، قراها ومدافنها القديمة أثارها وطباع أهلها"[(1)].

كما نجد رحلة كلود اثيان سافاري الذي كان منبهر بحضارة الشرق والتي استغرقت بمصر ثلاث سنوات توجت بكتابه (رسائل حول مصرlettres sur l’Egypte) ليأتي من بعده قولناي ويقوم برحلة إلى سوريا ومصر ويكتب رحلة إلى سوريا ومصر syrie et en egypte voyage en، وقد انحصرت الرحلة في هذه المرحلة في تسجيل الانطباعات لبعض المعالم الحضارية و وصف للمناظر الطبيعية وتصوير [(2)]للعادات والتقاليد.

ومن الطبيعي أن تتطور كتب الرحلات عن مصر، فبينما كان اهتمام الرحالة بوصف الأماكن والآثار والمتاحف، أصبح اهتمامهم منصبا على أهل البلاد وقد اجتذب سحر مصر السياح والتجار وعلماء الآثار ودارسي الكتاب المقدس والأدباء والفنانين، بحيث يعتبر أدب الرحلات عن مصر ثورة ضخمة من الكتابات المتنوعة في الأدب الإنجليزي[(3)].

"وما لبثت أن اتسعت رقعة الرحلات الانجليزية بحثا عن أماكن غامضة واكتشافها فقد رحل الكسندر جوردون لينج وهو ضابط برتبة رائد، إلى طرابلس (ليبيا) لأنها من أهم المنافذ إلى دواخل إفريقيا، ولأنها كانت تسيطر على طرق القوافل المتجهة إلى مرزق وإلى غدامس، ومنها إلى توات في الجزائر، حيث كان لينج يأمل الاتجاه منها إلى مدينة تمبكتو على نهرا لنيجر فيحقق حلما يبني له مجدا شخصيا ويحقق لحكومته انتصارا لان انجلترا كانت تريد استغلاله التجاري ثم لتحقيق أطماعها الاستعمارية في إفريقيا[(1)].

[(1)]: د/ إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال المصرية ،ع7، القاهرة دار الهلال، 1975، ص 54-55.

[(2)]:ليلى جباري: صورة الغرب في الرواية العربية: (المشرق العربي نموذجا)، دكتوراه الدولة في الأدب المقارن، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الأداب واللغات، 2005-2006.

[(3)]: د/ انجيل بطرس: المرجع السابق، ص 56.

[(1)]: رحلتان عبر ليبيا: (رحلة هولمان و الرائد جوردون لينج)، ط1، نقله إلى العربية دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984، ص6.

" وقد ادعى ريتشارد بيرتون Richard Burton الإسلام ولبس زي الدراويش من اجل دخول مكة والمدينة وزيارة الأماكن المقدسة وقد دون رحلته إلى الحجاز عام 1853 في كتابه Personal nanativeofa pilgrimage الذي يقع في جزئين: Tool- Madinah et Meccah بالإضافة إلى وصف الأماكن المقدسة وما يحف الرحلة إلى هناك من مخاطر ومصاعب يعطي بيرتون معلومات اثنوغرافية جمة عن قبائل الحجاز وحياة البدو في الصحراء، ولما توفي في 1890م بنت له زوجته ضريحا كبيرا على هيئة بيت من بيوت الشعر البدوية"[(2)].

" ولم تمض عشر سنوات على رحلة بيرتون حتى شد الرحال في أثره رحالة انجليز أخر وهو وليام بالغريف Willaim- gifford palgrane الذي بدا رحلته عام 1862م مدعيا الطب تحت اسم مستعار ورافقه مدرس إغريقي مقيم في رحلة في لبنان ويجيد العربية، ومن معان سافر الإثنان إلى الجوق ثم إلى حايل وهناك تقابل بالغريف مع الأمير طلال بن رشيد، وفي الرياض قابل الإمام فيصل وابنه عبد الله الذي قال عنه أنه قريب الشبه بهنري الثامن في طلعته وفي شجاعته واعتزازه بنفسه و مهارته السياسية، و نجد من ذهب بالغريف إلى البحرين وقطر وعمان ويدعى ان السفينة التي استقلها من هناك تحطمت في عرض البحر وفقد كل مذكراته.

ومن الأعمال الكلاسيكية الخالدة التي لا نظير لها بين كتب الرحلات كتابه تشارلز داوتي charles montaga songhtyوعنوانه رحلات في صحراء العربTravels in Arabia Desertes عايش داوتي البدو عاشرهم في حلهم وترحالهم، في الشدة والرخاء، وفي السلم والحرب، وشاهد بعينه عمليات الغزو وتعرض هو نفسه للسلب، ويصف داوتي كل مشاهداته وانطباعاته وصفا دقيقا شيقا، لا تفوته شاردة ولا واردة ورغم انه كان شديد التعصب لدينه المسيحي وعلى الرغم أيضا من رؤيته المتحيزة أحيانا يبقى كتابه عملا عملاقا مثير تتجدد قيمته مع مرور الوقت نظرا لما يحتويه من معلومات تفصيلية عن حياة البادية والحاضرة في الشمال.

[(2)]: أنظر أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقون، ص 8.wwwSaadso,wayan.com.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي توافد على حائل وشمال نجد عدد من الرحالة والمستكشفين كالليدي بلنت [(1)] Lady Anne Blun التي جاءت من انجلترا بصحبة زوجها ولفريد سكاوين بلنت ولا تخفي الليدي بلنت في كتابها Pilgnimagef Nejd عشقها وزوجها لحياة الصحراء وتعاطفها الشديد مع البدو وتعطي معلومات شيقة، ونظرا لكونها امرأة أتيحت لليدي فرصة لم تتحها لغيرها فولجت إلى داخل قصور الرشيد وخالطت نساءهم واطلعت على خصوصياتهم العائلية وكتبت عن ذلك بشكل مفصل، وتقل أنها رأت في بلاط ابن رشيد ولأول مرة جهاز التلفون الذي كان آنذاك اختراعا حديثا لم تكن قد رأته قبل وصولها إلى حائل.

ومما يلاحظ على كتابات هؤلاء الرحالة والمستكشفين أنها تتراوح بين الرومانسية المفرطة والتحيز الشديد وتغلب عليها روح المغامرة وإنها اقرب إلى الأسلوب الروائي الأدبي منها إلى الأسلوب العلمي التوثيقي غالبا ما يحتل الكاتب المغامر في هذه الأعمال المركز البطولي الذي تتسلط عليه الأضواء وتتمحور حوله الأحداث وتطغى على عمله السمة الإنطباعية والصبغة الذاتية فيحكم على الأمور من منطلق قناعته الشخصية وخلفيته الاجتماعية والثقافية ويقيم الناس والأحداث وكل الأشياء كمجرد وسائل و أدوات تعينه أو تقف دونه ودون الوصول إلى أهدافه وتحقيق طموحاته ويصل هذا المنهج ذروته عند لورنس Lowrence T.E في كتابه أعمدة الحكمة السبعة Seven Pillars of wisdom.

وخلال فترة خدمته في الجيش البريطاني في العراق والأردن اتصل الضابط البريطاني جلوب باشا John Baggot glubb بأبناء البادية وتعرف على حياتهم وكتب عنهم عدد من الكتب والمقالات ويقدم جلوب باشا في كتاباته معلومات قيمة عن حركة الإخوان وزعمائهم وطرقهم في الغزو والغارات[(2)]التي كانوا يشنونها على مناطق الحدود العراقية، ومن الكتب المهمة عن حركة الإخوان وعن حياة البدو وعموما كتاب The Arab of the desert الذي كتبه ديكسون H-R-P-Dichrson والذي أمضى سنين طويلة في العراق والبحرين والكويت".

[(1)]: أنظر المرجع السابق، ص 8- 9.

[(2)]: انظر المرجع نفسه، ص 9- 10.

2- صورة المشرق عند الرحالةالفرنسيين:

لقد انعكست للشرق الإسلامي صورة في الأدب الفرنسي إتباعا للعصور المختلفة وفي العصور الوسطى التي عادت فيها النزاعات الدينية وتحكم التعصب الأعمى، ظهر المسلمون في الأدب الفرنسي ملامحه ومسرحياته في صورة وثنيين لا أخلاق لهم سرعان ما ينهزمون أمام أبطال المسيحية فيرتدون عن دينهم [(1)]وفي عصر النهضة انصرف الأدب الفرنسي عن الشرق الإسلامي وتصوير أهله و ولى وجهه شطر الآداب القديمة اليونانية واللاتينية يستوحها ويحكيها ولكن الاهتمام بالشرق ما لبث أن احتل مكانة في الأدب الفرنسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فظهرت له فيها صورة أخرى مخالفة لتلك التي سادت في العصور الوسطى فالشرق في أدب هذين القرنين " جميل الطلعة طلق المحيا، خصب الخيال، يشوبه بعض الغرور... وهو طيب الشمائل مهذب الخلق، محمود العشرة، كريم الضيافة، ثم إنه متسامح لا تعصب عنده، يحترم حرية غيره في الاعتقاد ومهما اختلف معه في العقيدة و هو محب للاستمتاع، ميال إلى الكسل، يؤمن بكثير من الخرافات ويخضع خائفا لنير طغاة مستبدين من حكامه".

وكان لما لقي الرحالة الفرنسيون من كرم الضيافة وحسن الاستقبال أثناء رحلاتهم في الشرق ، ولكنهم أطالوا في الوصف نفس الحكام وسوء استعمالهم لسلطانهم، وفي وصف الطاعة المطلقة من الشعوب الشرقية الذليلة التي لا يرتفع صوتها بالاحتجاج، وقد اتخذ بعض كتابهم ذلك وسيلة لمهاجمة سلوكهم تحت ستار مستعار من الشرق ونظم الحكم فيه آنذاك، كما كان من أولئك الكتاب من هاجم التعصب الديني، وشنوا حربا شعواء على العقائد السائدة، متخذين من الشرق أمثلتهم في التسامح وحرية الاعتقاد.

"وفي بداية القرن 19 نشطت العلاقات بين مصر وفرنسا نشاطا محسوسا مرجعه الظروف السياسية والعلمية السائدة آنذاك، خاصة حدث تميزت به الآداب الفرنسية في ذلك القرن ألا وهو " الميل إلى الغريب" وقد اتخذ موضوع مصر في الأدب الفرنسي آنذاك، أشكالا مختلفة، ومن ثم فقد كانت هناك ثلاث فئات من الكتاب الذين

[(1)]: د/ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن،ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص 332-334.

تحدثوا عن مصر الذين تحدثوا عنها دون أن يروها وإنما قرأوا عنها ... والذين تحدثوا عنها دون أن يروها.. والذين تحدثوا عنها مستوحين تجربتهم الشخصية وملاحظتهم للواقع مباشرة.. وبالتالي تنقسم الأعمال الأدبية الفرنسية التي عالجت موضوع مصر، أعمال خيالية بحثه، وأعمال يستند فيها الخيال إلى الواقع، وأعمال كانت ثمرة لملاحظة الواقع مباشرة، ومن الكتاب الذين تحدثوا عن مصر أسماء لامعة معروفة لدى القارئ العربي أمثال شاتوبريان، جيرارد نرفال، غوستاف فلوبير، أوجين فرومونتان، فيكتور هييغو، أناتول فرانس وغيرهم.

ويعد جيراردي نرفال أول من اهتم بمصر اهتماما خاصا وأول من عالج موضوعها معالجة فنية رائعة، فلقد تحدث عنها في كتابه "رحلة إلى الشرق" وفي رواية رمزية لاحقة بهذا الكتاب "قصة الخليفة الحاكم" ... وقصة قصيرة "ايزيس" وقصيدة أسطورية "حورس" ضمن ديوانه "الأوهام".

لقد كانت قراءته لديوان فيكتورهييغو" الشرقيات" قد فتحت له أبواب الشرق على مصراعيها، كما انه درس منذ صباه، التاريخ والآداب [1]الشرقية والخط الفارسي والعربي.

" والواقع أن الأسباب التي دفعت نرفال إلى طريق الشرق أسباب شخصية فقد كان عام 1841 عاما أليما في حياته، شهد نهاية علاقته بالمغنية جين كولون التي أحبها حتى العبادة وقد قضى ثمانية أشهر في مستشفى دابلانش، وبعد أن خرج من المستشفى أراد أن يغير حياته ويثبت للناس أنه ليس مجنونا وإنما هو ضحية حادث عابر، وكانت الرحلة هي العلاج – طبعا الرحلة إلى الشرق، فقد استفاد منها واسترد ثقته بنفسه وبالحياة.

ركب نرفال المركب من مرسيليا في أول جانفي 1843 وصل الإسكندرية في 15 جانفي ثم إلى القاهرة عن طريق النهر في 25 جانفي وأمضى بها 3 أشهر، وبعد أن عاد من رحلته أراد أن يجعل من مذكراته كتابا يدعم مكانته كشاعر وأديب"[2].

[1]: أنظر د/ سامية احمد اسعد: مجلة الهلال المصرية،ع7، القاهرة، دار الهلال، 1975، ص 58 -59.
[2]:المرجع نفسه، ص 60.

"كانت الإسكندرية أول مدينة مصرية تراءت له، إلا أن أبنيتها الأوروبية خيبت أمله وتركت في نفسه أثر سيئا، ولم تحظ آثارها، خاصة حمامات كليوباترا وعمود الصواري باهتمامه، وسارع بالذهاب إلى القاهرة التي حلم بها وتخيلها وكأنها مدينة من مدن "ألف ليلة وليلة".

وقد وجد نرفال أن حلمه لم يكن خيالا بل اشتمل على جزء كبير من الواقع، وشدت انتباهه شوارع القاهرة التي تعج بالحياة الشرقية، بكافة مظاهرها، وكل ما فيها من بذخ وفقر، تجلس فيها بائعات البرتقال والموز والقصبر اللاتي يقارنهن بالتماثيل القديمة وتماثيل كليوباترا[(1)]، كان حي الموسكي قد استوقف نظر نرفال بصفة خاصة كما اهتم بمتاجر القاهرة ومقاهيها، وحماماتها وكانت الأسواق عرضا سخيا للألوان الزاهية كما وصف نرفال حمامات القاهرة وحرارتها التي بالرغم من شدتها فهي تريح المستحم.

"أراد نرفال أن يقف على أسرار الحياة الشرقية، ومن ثم تخلى عندما وصل إلى القاهرة عن كل ما يمت إلى العادات الأوروبية بصلة لذا استأجر منزلا وعمد إلى ارتداء الزى القومي لكي يندمج في الحياة المصرية اندماجا كاملا، وقد أعجب بالزي النسائي و وصفه بالسحر الغمض الذي يغطي مفاتنهن وقد احتلت المرأة مكانة هامة في "رحلة إلى الشرق" كما احتلت الاحتفالات والأعياد مكانا هاما في رحلة نرفال وخاصة عودة الحجاج التي وصفها بأنها مظهر مثير وسيمفونية ملحمية وأسطورية وشيء أشبه بالجيش الزاحف، كما تأثر بالإحتفال الشعبي بالمولد النبوي الشريف.

يعد كتاب نرفال أهم كتب القرن التاسع عشر والذي ظل محافظا على قيمته الأدبية والفنية"[(2)]أما إذا تحدثنا عن شاتوبريان وعن رحلته من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس في الفترة الممتدة ما بين (1810-1811) نجده يؤول الأشياء تأويلا يتماشى مع انتماءه القومي، فيجعل من الحروب الصليبية نتيجة قيمة يستحقها العرب وليست عدوانا شنه الأوروبيون عليهم ولا تختلف نظرة الشاعر الفرنسي لا مارتين في كثير من الأحيان عن نضرة الرحالة الأوروبيون الذين نقلوا إلينا صورا عن الشرق، إذا تبرز أحاديثه تحيزه للغرب ونظرته الدونية للشرق وجعله

[(1)]: انظر المرجع السابق ،ص 61 -62.

[(2)]: انظر المرجع نفسه، ص63- 64.

من ممتلكات أوروبا مستقبلا بوصفه حق أوروبيا سيكون بشكل رئيسي من حق احتلال أرض وكذلك الشواطئ من أجل إنشاء أما مدن حرة هناك أو مستعمرات أوروبية"[1].

"وقد شكل الشعر العامي أو ما يسمى بالشعر النبطي ولهجات الجزيرة العربية مصدر اهتمام لكثير من المستشرقين والرحالة الأجانب وكان الفرنسيون منهم اهتموا بدراسة القصائد ففي سنة 1919 نشر كارلودي لاندبرج ثلاث سوالف بقصائدها جمعها أثناء تجواله في منطقة حوارن وفي الثلاثينات من هذا القرن الميلادي نشر روبرت مونتان بعض السوالف والقصائد التي دونها من رواة شمر الجزيرة.

وبعد ذلك مرت فترة فيها الجهود الإستشراقية في مجال جمع دراسة الشعر النبطي وإن كانت نشطت بشكل ملحوظ فيما يتعلق بدراسة اللهجات[2] .

3- صورة المشرق عند الرحالة الألمان:

"شهدت العلاقات بين الشرق والغرب إبان الدولة العربية في الأندلس والحروب الصليبية تحولا كبيرا وسمع أهل الغرب الكثير من أخبار الشرق العجيب القوي الغني، وأصبح كتاب الرحلات مطالبين بالإفاضة والإسهاب لإرضاء فهم القراء إلى التفصيلات التي ما لبثت مقاييس العلم بمعناه الحديث أن حكمتها وضبطتها "[3].

"وتعتبر رحلة راوولف ليونهارت من أقدم الرحلات الأوروبية إلى الشرق ذلك لأن هذه الرحلة وقعت في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي ومع أن الغاية التي استهدفها " راوولف" من رحلته هذه هي النباتات والأعشاب الطيبة التي تنمو في بلدان الشرق، إلا أن ما شهده خلال هذه الرحلة وما سمعه، أضفى عليها مسحة من المتعة وقدرا كبيرا من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية مما يؤلف جزءا لا يستهان به من تأريخ العراق وبعض البلدان العربية الأخرى في تلك الفترة المظلمة.

بدأ راوولف رحلته في اليوم الثامن عشر من سبتمبر سنة 1573 م من مدينة اوغسبرغ في هولندا متوجها إلى مرسيليا في فرنسا التي وصلها في اليوم الأول من أكتوبر ثم غادرها قاصد الشرق، حيث رست به السفينة في ميناء

[1]: : ادوارد سعيد: الاستشراق، ط2، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت 1984 ، ص 186 -192

[2]: أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقون، ص wwwSaadso,wayan.com.6.

[3]: كارستن نيبور: رحلة إلى مصر (1761-1762)ت: د/مصطفى ماهر ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص6.

طرابلس بلبنان وانتقل بعد ذلك إلى دمشق [1] و حلب أين أقام بها عاما كاملا مكنه من الإبصار بأمور هامة في العصر الأول للسيطرة التركية – كان عليه أن ينزل أمام باب المدينة من فوق حصانه، فلم يكن مسموحا للمسيحيين بالدخول وهم على ظهور الجياد، وذهب إلى فندق الفرنسيين المقيمين هناك والذي اعتاد الألمان النزول[2] به و وجد بعض الألمان المقيمين هناك و وجد لهم قنصلا يحمي تجارتهم و وصف بيوت المدينة بأسقفها المسطحة وأبوابها المنخفضة التي يضطر الإنسان إلى الانحناء إذا أراد الدخول منها، وذكر أن مدينة (حلب) تخلو تماما من المباني الأثرية وأن تلك صفة تشاركها فيها كثير من المدن السورية، ولم يذكر من بين البساتين القليلة والأماكن الترفيهية خارج المدينة سوى كشك للسلطان الأعظم كان يقيم فيه عندما يخوض غمار الحرب ضد صوفية الفرس، ويعقد فيه مجالس شوراه، و وصف العادات والتقاليد، وصور الحياة العامة والخاصة للترك في حلب، و وصف حكومة الباشا، وتحدث عن تغيير الباشوات وحياة الترف التي تتصل في بلاطهم وحريمهم، وما يحتاجون إليه من أجلها من أموال كثيرة يحصلونها بالقهر والإكراه، ولا يستطيعون مهما اخذوا أنفسهم بالتغيير أن يجمعوا منها ثروة يورثونها أولادهم لأنهم عبيد السلطان، فإذا مات الباشا آلت أملاكه إلى السلطان كما يؤول الإرث إلى الوريث، ويرى راوولف هذا كله سببا لفساد الأمور في البلاد التي لا يقوم فيها مبنى كبير ولا تزدهر ثقافة ولا يبتني قصر، ولا تنشط صناعة أو حرفة، ولكنه يذكر مع ذلك أن التجارة نشيطة والحركة متصلة لان السلطان الأعظم نفسه يحمي التجارة من نزوات الباشوات، فموارد الجمارك والعطايا تتألف عند الحكومة إلى مبالغ كبيرة لا يحب السلطان تضييعها وهو بهذا يحمي التجار الأجانب وقنصلياتهم ويذكر أن القوافل كانت تأتي إلى هناك من فارس وأرمينيا ومصر والهند و أن كل أمة لها خان فندق بها تقيم وتتجر بضائعها[3]

[1]: ليونهارت راوولف: (رحلة المشرق)، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد دار الحرية للطباعة، 1978، ص5.

[2]: أنظر كارستن نيبور: رحلة إلى مصر (1761-1762)ت: د/مصطفى ماهر ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص7.

[3]: أنظر المرجع نفسه، ص 8 -10.

" ويصف ما رآه في متجر كبير من أقمشة نفيسة وحرير وفراء ويحدثنا عن الحلاقين والجراحين، أما صناع الأسلحة والعربات فقد بحث عنهم فلم يعثر لهم على أثر"[1].

هورنمان فريديريك (1797 -1798) من القاهرة إلى مرزق:

رحل هورنمان مع قافلة إلى مرزق متنكرا في شخصية مسلم في طريق طويلة مع قافلة متوجهة إلى فرات متمثلة في عاصمتها مرزق، فيصف مشاهداته وأحوال الطريق والأراضي التي يمر بها ويتحدث عن الأقوام الذين يمر بهم وعاداتهم وأحيانا يذكر شيئا عن تاريخهم ويوضح المخاطر التي كانت تعترض المسافرين في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ويفرد الرحالة جزءا هاما من يومياته لمدينة مرزق في حديث شيق عن بساتينهم وأهلها وسلطانها وعن عادات الناس وطبقاتهم ومآكلهم ومشربهم وملبسهم آنذاك، وكان هورنمان يريد الوصول إلى نهر النيجر، لأن هذا النهر كان يعتبر لغزا محيرا آنذاك.

ويغادر هورنمان مرزق بعد إقامة طويلة فيها، ويتجه إلى دواخل إفريقيا " ولكنه يقضي نحبه دون معرفتنا التفاصيل الدقيقة لموته...."[2]، لقد شكلت دواخل إفريقيا لغزا محيرا لدى العديد من الرحالة الأوروبيين وقد تشكلت في بريطانيا جماعة صغيرة من الرجال بقيادة السير جوزيف بانكز Sir Josph Banks رئيس الجمعية الملكية ترى أن استمرار الجهل بدواخل إفريقيا عار في جبين عصرهم لابد من إزالته بالطرق[3] والوسائل الفعالة.
فكون هؤلاء في 9 جويلية 1788 جمعية أطلقوا عليها اسم "الجمعية الإفريقية " « African Association » وقد شدت هذه الجمعية اهتمام كل من جون ليديارد John ledyard وسيمون لوكاسSimon Lucas ، كان ليديارد أمريكيا تحدوه رغبة قوية في أن يصبح اسمه مقرونا بما يكتشفه من المجهول، أما سيمون لوكاس فكان قد قضى ثلاث سنوات من سني شبابه عبدا في مراكش، رحل إليها بعد خلاصة كمساعد للقنصل البريطاني وقد أسندت إليه مهمة اختراق صحراء الطهر Tahara الممتدة من طرابلس إلى فرات وهذا بحكم معرفته الواسعة باللغة العربية والحياة الإسلامية.

(1): أنظر المرجع السابق، ص11.
(2): أنظر رحلتان عبر ليبيا: (رحلة هورنمان و الرائد جوردون لينج)، ط1، نقله إلى العربية دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984، ص5-6.
(3): أنظر المرجع نفسه، ص10.

أما ليديارد فقد اتجه إلى مصر بعد 3 أسابيع من تكوين الجمعية، وفي القاهرة اتصل ليديارد بقنصل البندقية ونزل في دير مسيحي وشرع يتحرى عن الدواخل بين التجار وأسواق الرقيق وقد وجد بان للقاهرة تجارة مع سنار و دارفور وفرات لكن كل الآمال التي أحياها عند مستخدميه سرعان ما تبددت عندما جاءت أنباء موته في القاهرة بعد إصابته بالكبد"[1].

"وكذلك كان سيمون لوكاس مصدر خيبة آمل للجمعية وصوله إلى طرابلس في أكتوبر سنة 1788 استطاع الحصول على ترخيص من الباشا للسفر إلى فرات بحجة الرغبة في رؤية الآثار الرومانية وجمع مجموعة من الأعشاب العلاجية التي لا توجد في أوروبا غير أن ثورة بدو الصحراء على الباشا جعلت رحيله المبكر أمرا مستحيلا ثم انتعشت أماله عندما وصل شريغان من فرات إللى طرابلس مع قافلتين من الرقيق، وفي فبراير اتجه إلى ميناء مصراته وعندما جاء شهر مارس معلنا اقتراب فصل الحر، قرر شريغان البقاء في الشمال حتى شهر نوفمبر ولكن لوكاس رجع إلى طرابلس ومنها إلى بريطانيا حتى وصلها في يوليو"[2] وهناك "ترك العمل مع الجمعية وعين فيما بعد قنصلا عاما في طرابلس ولكن لوكاس كان قد جمع خلال إقامته الطويلة في طرابلس ومصراته قدرا كبيرا من المعلومات الغير الموثوقة عن الدواخل ومع ذلك فقد أثبتت تلك المعلومات أن عبور الصحراء اشد خطرا من السفر في البلدان النائية جنوبا.

وقد قادت تقارير لوكاس الجغرافي الشهير الرائد (ميجور) جيمس رينل James Renell إلى اعتقاده بان كتسينة هي المملكة المركزية في قلب إفريقيا"[3] .

[1]: انظر المرجع السابق، ص 10-12.
[2]: انظر المرجع نفسه، ص 13.
[3]: انظر المرجع نفسه، ص 13.

فريديريك كونراد هورنمان:

ولد هورنمان سنة 1772 وتخرج سنة 1791 كرجل دين من جامعة جوتجن Gottinen بألمانيا، ولكنه كرس جهده فيما بعد لدراسة جغرافيا إفريقيا وإعداد نفسه كي يكون من المكتشفين وفي سنة 1795 ليشهد بدء جهوده الاكتشافية إذ سعى للحصول على تزكية للجمعية الإفريقية من الدكتور جوهان بلومنباخ Johann Blumenbakh زميل الجمعية الملكية وصديق السير جوزيف بانكز"[(1)].

وافقت الجمعية الملكية وصديق هورنمان ومنحته فرصة الرحلة وقد وصل إلى باريس وقد استقبله في العاصمة الفرنسية اثنان من زملاء الجمعية الملكية استقبالا حارا هما الفلكي جوزيف لالند Joseph Lalande وعالم النبات بيير بروسونيPierre Broussonet ، وقام عن طريقهما بالتعرف على كثير من المصادر الإفريقية لكن أيا منهما لم يبرهن على كبير [(2)]المساعدة له، مثلما قدمه له تاجر تركي من طرابلس صدف أن كان بباريس في ذلك الوقت.

"كان هورنمان متشوقا لمغادرة ليون ليتوجه إلى مرسيليا على وجه السرعة على أمل إيجاد سفينة مبحرة إلى الإسكندرية وعندما وصل مرسيليا في أغسطس لم يجد سفنا متجهة إلى الإسكندرية لذا اضطر للسفر إلى قبرص ومنها تيسر له الإبحار غلى الإسكندرية حيث وصلها في 13 سبتمبر ، وفيها قضى عشرة أيام في ضيافة جورج بالدوين George Baldwin القنصل البريطاني، ثم سافر إلى القاهرة عن طريق رشيد، حاملا رسائل تعريف من بالدوين"[(3)].

"لقد افتتن الرحالة الشاب بجمال نهر النيل، ولكن فقر أهله كان يغيم على تلك الفتنة، فكتب يقول: "كان أسفي شديدا عندما رأت في هذه الحقول البهيجة والبلد الذي يمكن أن يعتبر احد اسعد بلدان الدنيا، شعبا يئن تحت ظلم حكامه".

[(1)]: انظر المرجع السابق، ص 16.
[(2)]: أنظر المرجع نفسه، ص 26.
[(3)]: أنظر المرجع نفسه، ص 27.

"عندما وصل هورنمان القاهرة في الرابع من أكتوبر وجد جميع الأديرة تعج بالنزلاء، فنزل في مثوى مؤقت على أمل الانتقال إلى دير مجمع البيشير الذي تعرف إلى رهبانه وتصادق معهم....ثم شرع بجمع المعلومات الممكنة على الدواخل ولم يجد لدى الأوروبيين الأخريين اهتماما بسبب وجوده في القاهرة مما سهل عليه تكتمه على سره.

وفي القاهرة تعثر حظ هورنمان، ففي أبريل وقبيل موعد رحيله إلى فرات، انتشرت موجة من الطاعون أجبرته على البقاء، حيث كان وألزمته منزله لا يستطيع مغادرته، وكذلك تجمدت محاولته الثانية لمغادرة القاهرة بعد أن فشلت محاولة إرسال نقود لتمويل رحلته، ثم انه عندما واتته فرصة نيل ما يحتاجه من مؤسسة تجارية فرنسية وتجهز للسفر، جاء غزو نابوليون لمصر، فاحتل القاهرة في الخامس والعشرين من يوليو ولكن هذه الظروف الجديدة التي هددت فرصة هورنمان انقلبت لصالحه، فعندما قدمه البعض للتعرف على نابوليون وعده في خبث بتقديم كل المساعدة يحتاجها، وتعهد بتوصيل رسائله إلى لندن شريطة أن يكتب بالفرنسية وأرسل هورنمان إلى لندن حول هذا التحول المخظوظ في مهمته وأعلن توقعه الرحيل إلى فرات بعد أيام قليلة مع قافلة من الحجاج المسلمين العائدين من مكة"[1].

"شرع هورنمان في أو ديسمبر في رحلة العودة إلى مرزق، حيث وصلها في العشرين من يناير سنة 1800م، وفي الاجتماع السنوي للجمعية الإفريقية الذي عقد في ماي 1800 سجل وصول يوميات هورنمان عن رحلاته بين القاهرة ومرزق" [2]وعودة إلى ليونهارت راوولف فتقع رحلته في قسمين يتألف أولهما من تسعة فصول، ويبدأ الفصل الأول منها بخروجه من اوغسبرغ متوجها نحو الشرق في حين يضم القسم الثاني ثلاثة وعشرون فصلا منذ أن هبط ميناء طرابلس قادما من أوروبا ثم طوافه بسوريا والعراق، وعودته على سوريا ولبنان ففلسطين قبل رجوعه إلى وطنه في أوروبا، وقد وصف هذه البلدان كما تراءت له في الواقع على الرغم مما ورد في ثنايا حديثه عنها من خرافات وأساطير، وانتقادات قاسية لم يكن لها من مبرر سوى جهله بأحوال

[1]: أنظر المرجع السابق، ص28-31.
[2]: أنظر المرجع نفسه، ص32.

البلاد التي زارها، وتعصبه لعقيدته الدينية ولقومه الأوروبيين ليس إلا.

كما "يعد يوهان غوته نموذجا خلابا لصلات الثقافية بين الشرق والغرب في أواخر القرن 18 و أوائل القرن 19م، وقد كان الرجل واسع الثقافة بفضل أسرته فقد وضع له أبوه برنامج تعليمي ضم أكثر العلوم والديانات واللغات الحية (الفرنسية، الإنجليزية والايطالية) وبعض اللغات القديمة (اللاتينية والإغريقية) فضلا عن العبرية التي تعلمها والعربية التي حاول أن يتعلمها فألم بشيء منها.

يضاف إلى ذلك انه اطلع على الآداب الشرقية كالهندية والفارسية التي كان لها أثر واضح خاصة في ديوانه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" الذي نقله إلى العربية د/ عبد الرحمن بدوي، حيث رحل إلى الشرق رحلة روحية فكرية اغترابية كانت عميقة الأثر وفي نفسه بعيدة التأثير وسماها الهجرة، ثم نظم عام 1841 قصيدة بعنوان (الهجرة) كتبها باللاتينية واللفظ العربي ودعا نفسه إلى الهجرة إلى الشرق الطاهر الصافي لأسباب أهمها:

نشدات الأمن والاستقرار في الشرق بعد أن تزعزع امن أوروبا واضطربت أحوالها بسبب الحروب الأوروبية في القرن 19 عشر .

سيادة المذهب الرومانسي في أوروبا وانحسار الكلاسيكية ذات المقياس العقلي الثابت تقريبا.

بدء ظهور النزعة إلى الأدب العالمي وتوجه بعض الأدباء إلى أن يجعلوا[1]من ألمانيا مركز لهذا الأدب العالمي وكان أبرزهم غوته.

اهتمامه الشديد بالظواهر الدينية، وقد جال في الديوان الشرقي "جولات متفاوتة في أربعة أديان: الإسلام المسيحية، اليهودية، المجوسية".

ميل حركة التنوير في عصره إلى التسامح وتبيين أهمية الأديان الأخرى غير المسيحية والإسلام خاصة إذا كان إلمامهم به أكثر من إلمامهم بديانات الهند والشرق الأقصى

[1] : يوسف بكار و د/ خليل الشيخ: الأدب المقارن، الوحدة السابعة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، جامعة القدس المفتوحة، 1989 ص126.

صلة غوته الروحية بالإسلام، فقد كان يكن احتراما كبيرا يتمثل في انبهاره بالقرآن وإعجابه بالرسول(صلى الله عليه و سلم)، وقد أبان هذا في سيرته الذاتية (شعر وحقيقة).

إحساسه الكبير بقيمة القرآن اللغوية المتميزة.

قراءته لديوان حافظ الشيرازي وإعجابه به كثيرا[1].

و"كغيرهم من المستشرقين الأجانب اهتم الألمان بالجزيرة العربية ففي عام 1938م نشر المستشرق الألماني ج هس J.J.Hess كتيبا يحتوي على حكايات وقصائد وعادات وتقاليد البدو وفي قلب الجزيرة العربية يحتوي الكتاب على مواد لغوية واثنوغرافية وأدبية ومعلومات أخرى تلقي بعض الضوء على حياة البادية، استقى هس مادته مشافهة من اثنين من البدو والذين التقى بهما في القاهرة"[2].

[1]: أنظر المرجع السابق، ص 127.

[2]: أنظر أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقون، ص wwwSaadso,wayan.com.5.

4- صورة الجزائر في عيون الرحالين الأجانب:

المؤلفين الألمان:

إن الرحالة الألمان لم يكتبوا عن الجزائر حبا فيها و لا إعجابا بتاريخها و إنما كان كل غرضهم في ذلك هو تسهيل الهجرة لمواطنيهم إلى الجزائر لإنشاء المستعمرات و الإقامة بها تحت ظل الاحتلال خاصة أنهم يشاركون الفرنسيين في مشاعر الحقد و الكره على الجزائريين و يعتبرون أنفسهم أصحاب المستعمرة الجديدة.

ولقد ظهر اهتمام الألمان بالجزائر في بداية الأحمر عن طريق ترجمة ما كتبه الأجانب خاصة كتاب توماس شو (رحلة في ولاية الجزائر)، سنة 1765 م، و كتاب الشاعر الإيطالي فيليوبنانتي (رحلة إلى سواحل البرابرة) سنة 1824، و بعد احتلال الجزائر بمدة قصيرة نشرت مجلة الكتب السنوية في عدد سبتمبر سنة 1830 دراسة مطولة، إستقت الكثير من معلوماتها عن الجزائر من المجلة الإيطالية للعلوم و الآداب و الفنون و أضافت إلى ذلك شيئا مما عثرت عليه في مراجع و مصادر أخرى، و استعانت أيضا بكل من شو و بنانتي، و بييردان الذي صدر كتابه عن الجزائر في باريس عام 1649 م، وقد تحدث مؤلف هذه الدراسة عن ولايات الجزائر و مدنها و موانئها و جبالها و أنهارها و بحيراتها و جوها و مناخها و خصوبة أراضيها و منتجاتها الزراعية، و أشار إلى أهم المدن خاصة القل و بجاية، عنابة و جيجل و قسنطينة، و الجزائر، و يذكر بأن الجزائر عشرة مساجد كبيرة و حوالي 50 مسجدا صغيرا و خمس مدارس و عددا كبيرا من مدارس الكتاب، ولعل أهم ما ورد في هذه الدراسة هو عن مسألة العبيد التي إتخذتها أوروبا ذريعة للاعتداء المتكرر على السواحل الجزائرية و الإشارة إلى أن هؤلاء العبيد كانوا قد أصبحوا ملكا للدولة الجزائرية قبل خمسين سنة، و أنه من الإنصاف الاعتراف بأن أوضاع الأسرى في الجزائر كانت أفضل بكثير من أوضاع أمثالهم في البلدان المسيحية[1].

[1]: أنظر أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 19782، ص9-10.

وتذكر المجلة في نهاية دراستها أن الجزائريين لا ينقصهم الذكاء و لا المواهب و لا القدرة على التطور ولكن الاضطهاد التركي هو الذي تركهم على هذه الحالة التي هم فيها، و قد بدأ اتصالهم بأوروبا قبل نصف قرن، إذ سافر إليها كثير منهم، و زاروا بعض بلدانها و حصلوا على معارف متنوعة أدت إلى ظهور مواهبهم المختلفة بصورة أوضح، و من الرحالة الألمان الذين زاروا الجزائر و كتبوا عنها:

فيلهم شيمبر:(1804-1878):

"تعد شخصية شيمبر شخصية عجيبة يمتاز بإنسانيته و طيبته و موضوعيته و هو أخو العالم النباتي المشهور كارل فريديريش، و كان لشيمبر إلمام بعلم النبات.

- قام برحلات في جنوب فرنسا و الجزائر و مصر و الجزيرة العربية.
- زار شيمبر الجزائر في شهر ديسمبر سنة 1831 م أي بعد مرور حوالي عشرة أشهر على احتلالها.
- أصدر كتاب صغير الحجم بعنوان رحلة فيلهم شيمبر إلى الجزائر في سنتي (1831 و 1832 م)، ثم طبعه في مدينة شتوتغارت عام 1834 م.

وعندما وصل إلى ميناء الجزائر كان أول ما لاحظه الأخوة التي تجلت في سلوك الحمالين مع بعضهم البعض.

كما يذكر أن الجزائر دعيت بهذا الاسم بسبب الفيضانات التي تغمر سهل متيجة في الشتاء و تحمله إلى بحيرة كبيرة!، و يقدر عدد بناياتها بخمسة عشرة ألف و سكانها بمائة ألف نسمة، كما يذكر اللغات المستعملة بها و هي العربية و الإسبانية و الفرنسية و الإيطالية و الألمانية و الإنجليزية و الهولندية و غيرها مما لم يعرف له أصلا و لا نسبا، وبعد ذلك يذكر الحضر كما ينحل للحديث عن الأسرة و السعادة التي تسود حياتها المنزلية، كما ذكر أن المرأة تعيش حياتها كالسجينة و ليس مرد ذلك إلى غيرة زوجها و إنما رده إلى العادة المتبعة.

ويتطرق شيمبر إلى الحديث عن التربية و التعليم فيرى أن الجزائريين يتعلمون، فنسبة الجهل تكاد تكون منعدمة كما أنه وجد بأن الجزائريين يتكلمون الفرنسية بطلاقة مما دعى الحكومة إلى توظيفهم في الإدارة الفرنسية في حين أن الفرنسيين الذين يتكلمون العربية فلا وجود لهم إلا في النادر.

أما عن الطب فيرى شيمبر أنه يكاد يكون غير معروف في الجزائر مشيرا إلى دور الحمامات في معالجة الكثير من الأمراض، كما يتحدث عن العمليات و عن المعاملة الطيبة التي يلاقونها من طرف المواطنيين على غرار ما يحدث مع العمليات في أوروبا الذين يتلقون معاملة قاسية.

كما أشار شيمبر إلى أوضاع التجارة المتدهورة بسبب سيطرة الفرنسيين عليها و احتكارها مما زاد في تدهور الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري المسكين –كما يصفه- الذي بقي يتخبط في مشاكل لا حل لها تحت رحمة أوروبيين أشرار طردوا من بلادهم بسبب سوء سلوكهم، ثم ينتقل الرحالة إلى وصف شجاعة الجزائريين في الحروب و أنواع أسلحتهم و مهارتهم في استخدامها و كيف أن الجبال كانت معاقلهم منذ القدم كما يصفهم بالفروسية و الصمود، و يرى أن عيبهم الوحيد هو أنهم غير منظمين.

ثم يعود المؤلف للحديث عن التجار الفرنسيين فيؤكد من جديد أنهم سبب المحن التي حلت بالجزائر، فهم لا يعرضون بضائعهم في الأسواق إلا بعد أن يحول النقص في المواد الغذائية إلى مجاعة، ثم ينتقل إلى مقارنة محلات العرب و محلات الأوروبيين فيقول أن العربي يهتم بنظافة محله و ترتيبه في حين تتصف محلات التجار الأوربيين بالقذارة، و يتأسف المؤلف عن المعاملة السيئة التي يتعرض لها السكان الأصليون من طرف الغزاة الذين وفذوا إلى الجزائر من كل أنحاء أوروبا.

نلاحظ مما سبق أن شيمبر قد تحدث عن أوضاع الجزائريين بعد الاحتلال من وجهة نظر إنسانية، و كشف النقاب عن جرائم الغزاة دون أن يعترض –صراحة على الأقل- على احتلال الجزائر و استبعادها، و إن كان قد حذر أبناء بلاده من الهجرة حتى لا يصبحوا رعايا حكومة أجنبية تمارس مثل هذه القطائع و الجرائم، يضطروا للمشاركة فيها بوجه من الوجوه فيكسبوا بذلك عداوة شعب لم يسبق له أن أساء إليهم[1].

[1]: أنظر المرجع السابق، ص20.

فرديناند فينكلمان:

"وضع فينكلمان بدوره كتيبا عن الجزائر بعنوان تاريخ احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين 1830 م، نشره بمدينة إيلمانو عام 1832 م، و قد أورد في الصفحات الأولى بنبذة عن تاريخ الجزائر قبل الاحتلال بفترة قصيرة، وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن الظروف التي تم فيها الإستيلاء على الجزائر معتمدا في ذلك على ما
كتبه بفايغر وغيره، و يبدو أن المؤلف[2] قد سحرته طبيعة الجزائر..موقعها و هضابها و جبالها و وديانها فلم يهتم بالبلاد كثيرا من الناحية التاريخية، و إذ كان شيمبر يحذر الألمان من الهجرة إلى الجزائر، فإن فينكلمان على العكس من ذلك، فهو يلح على مواطنيه في الهجرة إليها، لأنها مستعمرة رائعة بالنسبة للألمان!، و ذلك ما فعله بعده مواطنه ماكس ماريا فراهيرافون فيبرفيما بعد عندما نشر كتابا عام 1854 م عن الجزائر و الهجرة دون أن يتعرض لتاريخ الجزائر مع الاستعمار الفرنسي، وقد تحمس فينكلمان للهجرة إلى درجة أنه راح يبحث عن ماضي الجزائر في العصر الروماني لا من، حيث تاريخها و لكن من، حيث منتجاتها الزراعية و مقدار محصلاتها على مدار السنة كلها، فيذكر بناء على ذلك أن الجزائر قد اشتهرت قديما بخصوبة أراضيها ممَا يجعل يزيد في التشويق إلى الهجرة إلى الجزائر مؤكدا لمواطنيه أن هناك مناطق خصبة مهمة و كأنه يقول لهم بهذا إنها بانتظاركم!، و يزعم أن الجزائريين يجهلون تمام الجهل كل ما يتعلق بالأعمال اليدوية و الصناعات الفنية[3].

و نستنتج من كل هذا أن عقلية فينكلمان الاستعمارية جعلته يرى في الجزائر أفضل مكان يوفر الأراضي الخصبة دون مقابل لمواطنيه الألمان.

[2]: المرجع نفسه، ص23.

[3]:أنظر المرجع نفسه، ص24.

"**هرمان هاوف**:

في سنة 1835 م أصدر هرمان هاوف بمشاركة إدوارد فيدرمان كتابا صغير الحجم، طبع في مدينة شتوتغارت، وضع له عنوان "الجزائر كما هي"، و يتضمن الكتاب في مجموعة معلومات عامة، لا تختلف عما نجده في بقية الكتب الأخرى التي تحدثت عن الجزائر من الناحية الجغرافية و الطبيعية و المعمارية و غير ذلك(1).

يرى هاوف أن الإستيلاء على الجزائر أهم حادثة في القرن الماضي،الجزائر –على حد تعبيره- الشعوب التجارية و استبدت بالبحر الأبيض المتوسط و أرغمت شارل الخامس على الفرار أمامها بصورة مخزية، و مع أن إنجلترا نفسها كانت سيدة البحار، فإنها لم تستطع أن تملي اتفاقياتها على الجزائر إلا بصورة مؤقتة، و كانت قد أجبرت الشعوب خلال قرون عديدة على دفع أتاوة لها نظير مرور سفنها التجارية في البحر الأبيض المتوسط، ثم كانت هذه الجزائر نفسها غنيمة للجيش الفرنسي فاختفت اختفاء الظل و تمكنت فرنسا من احتلال هذه المنطقة الجميلة بكل هدوء، و من الممكن أن تؤدي إلى نشوب حرب بين إنجلترا و فرنسا و تركيا، و لكن هذه الأسباب كلها لم تكن كافية في نظر المؤلف لاحتلال الجزائر و القضاء على سيطرتها قضاء تام، و قد انتقل هاوف للحديث عن الجزائريين، حيث يعتقد أنهم هاجروا إلى الشرق بعد أن عاودهم الحنين إلى أسيادهم الأتراك لكنه كان مخطئا لأنهم غادروا بلادهم بحثا عن الحرية في بلد إسلامي هربا من بطش الاستعمار، و مهما كان فإن هاوف يكون الرحالة الألماني الوحيد الذي اهتم بمناقشة الأسباب التي أدت إلى احتلال الجزائر(2).

"**هورتيس فاغنر (1813-1887 م)**:

فاغنر عالم طبيعي و رحالة ألماني، ألتحق بوظيفة تجارية في مدينة مرسيليا، مكنته من القيام بزيارة قصيرة للجزائر سنة 1835م، عاد إليها بعد عام كمراقب و جامع للأشياء الطبيعية فحلَ في شهر أكتوبر.

وضع فاغنر مورتيس كتابا عن الجزائر بعنوان"رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836-1837-1838 م"، صدر في مدينة لايبتسيغ سنة 1841 م، و يتكون كتابه من ثلاثة أجزاء، وصف في الأول مدينة الجزائر و المدن

(1): أنظر المرجع السابق، ص25.

(2): أنظر المرجع نفسه، ص27.

الأخرى التي شهدها، و تحدث في الثاني عن تاريخ الاحتلال و المعارك التي حضرها، أما الجزء الثالث فقد خص به المجموعة الحيوانية الجزائرية، وضع هذا الجزء بمشاركة أخيه رودولف.

ينتقد المؤلف في مقدمة كتابه الرحالين الذين سبقوه، فيقول عن كامبل أنه نجح كشاعر و لكنه لم ينجح كرحالة، فما يجده الإنسان في رسائله لا يزيد عن انطباعات السواح العادية، و يرى فاغنر أن (سيملسو) أكثر سطحية من كامبل لأنه لم يفهم حياة الجزائريين و لم يستطع وصفها كما ينبغي.

ويصف فاغنر إقامة روزيه بأنها كانت قصيرة أيضا و إقتصرت على الجزائر و البليدة و المدينة ووهران، بينما إهتم ميليتس بوصف الجزائر و لم يتجاوزها إلى سواها، و يثني على شيمبر و يتأسف لأن وصفه إقتصر أيضا على الجزائر و ضواحيها، و الواقع أن فاغنر لا يخلو من التعصب فقد صبغ عباراته بصبغة الفرنسيين الذين كانت له بهم علاقة وطيدة فنمت عن حقده على الجزائريين و وصفهم بالهمجية.و يبدأ فاغنر كتابه بوصف ميناء الجزائر و الحديث عن العاصفة التي حطمت قبل سنة ثلاثين سفينة، و يذكر أن وصول السفن إلى ميناء الجزائر يعتبر عيدا بالنسبة لأهل البلاد، فهم يكسبون في اليوم الواحد ما يكفيهم لعدة أيام ويصف الأشياء التي كانت تعرض في السوق بساحة الحكومة، ثم ينتقل فاغنر إلى الحديث عن الجزائر التي تعني (الغازية) وهذا الاسم يوحي بالبطولة و القوة، و يحدد سكانها عند منتصف سنة 1839 م ب 28 ألف باستثناء الجيش الفرنسي و هو يعترف بأن الإحصاءات ليست دقيقة، و كان الرحلة القدامى أمثال شو، بنانتي و شالر، قد قروا سكانها بعدد مرتفع و يؤكد فاغنر ما ذكره شيمبر من الحكومة الفرنسية قد هدمت الكثير من المساجد أما لتوسيع الشوارع أو لإقامة بنايات جديدة في محلها، و يشير كذلك إلى أن عدد المدارس قبل دخول الفرنسيين كان مترفعا، فقد بلغ حوالي 100 مدرسة لم يبق منها اليوم سوى النصف تقريبا.

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن المحكمة العليا و يذكر أنها كانت تتألف من خمسة قضاة، من بينهم يهودي و مسلم ثم صار عددهم لا يتجاوز اثنين، أما أسواق الجزائر فهي في نظر المؤلف لا تشبه الأسواق الجميلة و أقاموا

مكانها دكاكين و مخازن أوروبية، أما محلات العرب فهي صغيرة جدا، أما المقاهي فهي كثيرة و منتشرة في كل الأحياء.

ويشير فاغنر إلى أن هناك حفلات خاصة تقام في أوقات معينة، ففي أيام رمضان مثلا تقام حفلات القرقوز[1] و يحضرها العرب و الأوروبيون على حد سواء.

ثم ينتقل فاغنر للحديث عن الفرنسيين فيصف دناءتهم التي تجلت بوضوح في فتح القبور و الأضرحة الجميلة بحثا عن الأموال و نقل حضارتها إلى أمكنة أخرى، و أقطع من هذا أن الفرنسيين أخذوا عظام الموتى و حملوها لبيعها لمعامل مسحوق العظام، بعد هذا يثني المؤلف على عزة العربي و ألفته و احتفاظه بقامته المنتصبة حتى في أرجح الظروف!، ويضرب المثل على ذلك بالجزائريين الذين تم أسرهم قرب البليدة في شهر ماي 1837 م، فعندما مروا أمام الجنرال دامريمون كانوا مرفوعي الرأس، واضحي النظرة، و كانوا يجيبون على أسئلته في ألقة و كبرياء.

ويلي هذا حديث المؤلف عن الأحداث العسكرية في الغرب الجزائري و يذكر الخراب و الدمار الذين ألحقهما جنود فرنسا بمختلف مناطق الجزائر، و يثور فاغنر على قطع الأشجار، و بلغ الغضب بالمؤلف مبلغا كبيرا!.

و يتناول المؤلف في حوالي 80 صفحة حملة قسنطينة التي شارك فيها بنفسه ضمن أعضاء البعثة العلمية و يصفها بصورة مفصلة، و كان قد نشر هذا الوصف في إحدى الجرائد الألمانيا سنة 1837.بالإضافة إلى هذه الحقائق التي ذكرها فاغنر، فقد أورد في نهاية الجزء الثالث من كتابه ترجمة مختصرة لكل من الأمير عبد القادر و أحمد باي، و فرحات بن سعيد، و أطول ترجمة هي ترجمة الأمير.

[1]:أنظر المرجع السابق، ص35.

كليمانس لامبينغ:

كان لامبينغ ضابط في جيش إمارة أولدنبورغ، ثم سافر إلى إسبانيا سنة 1839 م، بعد ستة شهور ترك مدريد إلى الجزائر، حيث إلتحق بالفرقة الأجنبية، و غادرها بعد سنتين و عاد إلى وطنه ألمانيا فوضع كتاب بعنوان "ذكريات من الجزائر"، نشره عام 1844 م بمدينة أولدنبورغ، و هو يصف في هذا الكتاب العمليات الحربية التي تشارك فيها و بعض المواطنين الذين كان على اتصال بهم.

وقد كتب في مذكراته بتاريخ سبتمبر 1841 م أن بيج يحرق و يدمر و المؤلف يولي إهتماما كبيرا لعلاقته بالمواطنين و يتسم سلوكه بتواضع الإنسان المفكر.و يذكر لامبينغ أن حاكم المدينة من أسرة الأمير، و هو غني جدا و يعد المثل الأعلى للرجل العربي، لأنه مخيف لأعدائه كريم، جواد مع أصدقائه، و طبيعة العربي، في نظر المؤلف تجمع بين صفات متناقضة، ففيها الشدة و الحلم، و القسوة و الشهامة، و الجشع و الكرم.

و يتحدث المؤلف عن المعارك التي دارت في نواحي جيجل، فيقول أن القبائل كانت تهاجم معسكرات الجيش الفرنسي باستمرار، و يذكر لامبينغ أنه شارك في معركة ضد الأمير جرت في سهل الشلف، ورآه من بعيد، و يؤكد أنه لا يستطيع إنكار بهذا الرجل، فقد كان وحده روح المعركة و هو يشبهه في شجاعته و صموده إلى حد كبير ليوغرطة، و ينتقل المؤلف إلى وصف شجاعة العربي و يقظته و استعداده الدائم للحرب و، و يختم كتابه قائلا:"لو استطاع هؤلاء الناس أن يكونوا شعبا واحد.....و أن هذه القبائل المشتتة اجتمعت على كلمة واحدة فوجدت بينها الأخوة الصادقة، لأصبحت أمة من نوع فريد"(1).

لودفيغ بوفري:

لا نعرف عن بوفري سوى أنه كان عضوا في نادي الهجرة و شؤون المستعمرات بألمانيا، و لعل هذا وحده يكفي لمعرفة الغرض الذي وضع من أجله كتابا بعنوان "مستقبل الجزائر في ظل السيادة الفرنسية" و نشره سنة 1855 م بمدينة برلين، و قد رفعه إلى نابليو الثالث، إعجابا بالحضارة الجديدة التي دخلت إفريقيا بفضل

(1): أنظر المرجع السابق، ص96.

الفكر الجبار الذي يهب من فرنسا...و حلت محل الحضارة القديمة...في زعمه.

و قد تحدث المؤلف عن الأمير عبد القادر عن الظروف الاجتماعية و الفنية، فهذا الرجل الذي يمجد فرنسا في إهدائه، يقول هو نفسه عن الأمير "أن أوضاع يوغرطة قد تجلت مرة أخرى في شخصية الأمير و أن الأحداث التي جرت في بلاده قد جعلت منه بطلا و رجل التاريخ، و يضيف المؤلف أن ذكرى الأمير عبد القادر الذي تلقى وحده الفاتحين بصدره، بينما كان غيره ينظر إلى المستقبل في يأس، ستخلد ما بقيت اللغة العربية حية خالدة وما بقي العرب يحتلون مكانهم بين أمم الكرة الأرضية، فالعقل الشرقي الذي يمتاز بخياله و شاعريته يحمَل الشرقيين و خصوصا العرب، على تخليد أعمال أبطالهم و انتزاعها من الماضي، و قد وجد من الناس شاعرا نظم في الأمير شعرا ذاع صيته بين الناس.

و يؤكد المؤلف أن الشعر في الواقع ليس غريبا عن المواطنين و هو يقصد الشعر الشعبي، و يدعي أن كل إنسان منهم شاعر بالفطرة، وأشعارهم على الأغلب مرتجلة.

و يذكر بوفري أن العربي، في رأيه، يزيد في عدد نسائه بقدر ما يزيد في قطيعه.

و قد أورد لوفري مجموعة من الأشعار و قد علق عليها قائلا: "أن الإنسان حين ينظر إلى الأوضاع التي تعيش فيها الجزائر و الظروف التي تمر بها، يظن أن سكانها أبعد الناس عن الشعر، و لكن الواقع خلاف ذلك و يشير في نهاية كتابه إلى أن هذا النتاج الشعري و نشره بين الناس سيكون عملا له أهميته و خطورته"[1].

الأمير موسكاو:

زار الأمير الألماني لابوكلر ماسكاو الجزائر سنة 1835 م و قد تجول في بعض مدنها، و خاصة مدينة عنابه التي تابع منها جولته إلى تونس و بعد عودته إلى بلاده كتب رحلته في ثلاثة أجزاء.

ينتمي هذا الأمير إلى الحركة الرومانتيكية التي كانت تسود الثقافة الأوروبية في عصره و خاصة الأدب و لعل العاطفة الرومانتيكية هي دافعه الأول في مغامراته التي سماها (سيميلا سوني إفريقيا) و قد اتسمت رحلته

[1]: المرجع السابق، ص108.

بوصف الطبيعة و الآثار و الجمال و المرأة و الحيوانات و النباتات[1] و الزهور و المغامرات و الطقس و نحو ذلك، و قد اهتم بمغامراته الخاصة أكثر من اهتمامه بالجزائريين و لا حتى وبالفرنسيين، كما كان مهتما بالآثار الرومانية التي كان يحس برابطة روحية بينها و بينه.

وقد كتب رحلته في شكل رسائل بعثها إلى أصحابه، كانت خفيفة الروح مليئة أحيانا بالنكت و التلميحات السياسية و الأدبية و العاطفية، وقد امتازت لغته فضفاضة و أسلوبه و صفي و فيه متعة أدبية فائقة[2].

ب- المؤلفين الفرنسيين:

لم يأت الرحالة الغربيون و خاصة الفرنسيون منهم إلى بلادنا و هم جاهلون لها أبدا، إنهم أتو و هم مزودون بأفكار و أحكام جاهزة مسبقة، و بثقافة توجه دون شك نظرتهم إليها، و لهذا انطلق هؤلاء الرحالة في كتاباتهم عن الجزائر من معطيات عدة أهمها:

كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة، و كونهم شعبا متحضرا حكم شعبا متخلفا، و كونهم مسيحيين قبضوا على شعب مسلم و هذه المعطيات مجتمعة قررت نوعا من (الحتمية التاريخية) عندهم و هي التي حددت منهجهم الذي تطور مع الزمن كلما ازداد وصلة بالجزائريين، ولعل تلك المعطيات هي التي لا تزال تتحكم في الكتابات الغربية عن الجزائر و ما من شك في أن هؤلاء الرحالة دوافع كثيرة دفعتهم إلى الاهتمام بالجزائر لعل على رأسها الرغبة في التعرف على شعب عربي وقع في قبضة الحضارة الأوروبية.

فرومونتان أوجين (1820-1876) Eugéne fromentin:

"قام أوجين بثلاث رحلات إلى الجزائر، الرحلة الأولى كانت في ربيع 1846 و هو في الخامسة و العشرين حيث انطلق من باريس في 3 مارس، حيث وصل في 12 مارس و استقر بمدينة البليدة، مكث بالجزائر مدة تسعة عشر يوما، ليعود إلى فرنسا.

[1]: ليوينهارت راوولف، رحلة إلى المشرق ترجمة سليم،طه التكريتي، بغداد، درا الحرية للطباعة 1976، ص270.

[2]:أنظر المرجع السابق، ص273.

أما الرحلة الثانية فقد كانت أطول، حيث غادر باريس في 24 سبتمبر 1847 م، و كانت له فرصة التعرف على الكثير من المدن الجزائرية بليدة، قسنطينة، بسكرة، إضافة إلى الصحراء، حيث استطاع القرب من البدو و نمط حياتهم[(1)].

أما الرحالة الثالثة فكانت في 5 نوفمبر 1852 م، و هذا بعد أن تحصل على جائزة تقديرية للوحاته الجزائرية، و في هذه الرحلة أخذ فرومونتان زوجته معه.

و قضى أوجين بالجزائر حوالي عشرين شهرا، رسم فيها الكثير من المشاهد الجزائرية سواء في لوحاته مثل: ساحة لابراش بقسنطينة Laplace de la bréche àconstantine، الصيد بالصقر في الجزائر Chausse au faucom en algérie، ذكرى من الجزائرSouvenir d'algérie، مورد الماء l'abreuvoir ، مضيق الشفا Les gorger de la chiffa، هذا بالإضافة أنه سجل رحلاته كتابه تنبع من مشاهداته الحية للجزائر-صيف في الجزائر 1857 م، عام في الساحل (1859)، الجزائر مقتطفات من دفتر رحلة-[(2)].

فرناند فورو:Fernand fourou:

كلف سنة 1878 بتقسيم منطقة ورادي ريغ، و حفر الآبار، ثم كرس كل وقته للدراسات العلمية للصحراء نشر مهمة إلى تاهرماريت، تقرير حول مهمتي لدى طوارق الأزجر، مهمة عند الطوارق 1895 م ، في العرق الكبير 1896 م، من الجزائر إلى الكونغو عن طريق التشاد، الوثائق العلمية حول المهمة الصحراوية 1903-1905 م، خريطة لجزء من الصحراء الشمالية 1908"[(1)].

[(1)]: أحسن دواس: صورة المجتمع الصحراوي في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، رسالة الماجستير في أدب الرحلة، جامعة منتوري قسنطينة ، 2004-2005، ص194.

[(2)]:أنظر المرجع السابق، ص195-196.

[(1)]: أنظر المرجع نفسه، ص197.

جون بيار بونافون[1]Jean-pierre bonnafon:

حين نزلت القوات الفرنسية سنة 1830 بسيدي فرج، و احتلت مدينة الجزائر و كان جون بيار بونافون جراح عسكريا، يشاهد و يسجل كل ما يرى و كل ما يقصه له الجرحى، و بعد سقوط الجزائر تواصلت عمليات الاحتلال و توالت البعثات، معسكر 1835 م، بعثتان إلى قسنطينة سنتي 1836 و 1837 م على التوالي، التافنة أين كان ضمن و فد الجنرال بيغو و بعد أن أصبح رائدا، جراحا، على رأس مستوصف نقال عمل بالبليدة شرشال، المدية، و مليانة، و كان أينما حل يسجل كل كبيرة و صغيرة حول السكان و نمط حياتهم، و عاداتهم و تقاليدهم، بعد رجوعه إلى فرنسا نشر مذكراته سنة 1880 م، "اثني عشر في الجزائر (1830-1842م)".

ج.ج.كلاماجرونClamageran-J.J:

كلاماجرون كاتب و رحالة زار الجزائر ما بين17 مارس إلى 04 جوان من سنة 1873 م، و كتب عنها:"الجزائر انطباعات رحلة" نشره سنة 1874 م، و التي من خلاله وصف كلاماجرون العديد من المدن الجزائرية، الجزائر، وهران، تلمسان، سيدي بلعباس، مستغانم، قسنطينة، باتنة، كما عرج على المدن الصحراوية، و أعطى وصفا دقيقا للقنطرة و بسكرة، مركزا على سكان منطقة الجنوب و منتجات الصحراء.
وللكاتب أيضا "دراسة حول المؤسسات القبائلية و الاستعمار"Etude sur les institution kabiles et la colonization".

[1] : أنظر المرجع نفسه، ص198.

الخاتمة

الخاتمة:

و هكذا شارفت رحلة البحث على النهاية، بعدما إتبعنا المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح مارآه الرحالة من البلاد الاخرى، و تحليل العقلية الغربية و الكشف عما تكنه من عداوة للشرق توصلنا إلى النتائج التالي ذكرها:

أولا:

في ظل العلاقات بين الشرق و الغرب وضع كل منها خطابا عن الآخر، فالغرب خلق رلنفسه شرقا و شكله وفقا لما يتماشى مع رؤيته العنصرية، و الشرق خلق غربا إنطلاقا مما هو موجود، لأن الغرب يهدف من وراء ذلك إلى الهيمنة و السيطرة و الإستطان و السلب و النهب، بينما الشرق فقصه مغاير للغرب تماما هو ينادي إلى السلم و الحوار.

ثانيا:

الرحالة يشرحون الصور التي كونها شعب ما في أدبه في بلد آخر، وينقي هذه الصور و بين ما فيها من صواب و خطأ، و يشرح أسباب الخطأفيها، و يدعوإلى وضع البلد أو الشعب موضعها الصحيح من أفكار الأمة و أدبها.

ثالثا:

على الرغم من إختلاف اللغات إلا أن هناك إيمان وثيق بما أفادهم التاريخ من أن كل أدب لا يستطيع أن يعيش بمعزل عما سواه من الأدب دون أن يصيبه الوهن و الدبول، و من أجل نواحي الادب العربي أن تعتمد في مصدرها على لقاح أجنبي تساعد على إزدهار تلك النواحي في الأدب و يساعد على فهم الامة لنفسها برؤية صورتها في أداب غيرها.

رابعا:

إن الدراسات الإستشراقية التي ركز عليها الغرب للتغلغل في أعماق الشرق و العالمك الإسلامي تمنيزت بقصور نابع من الرؤية المقيدة التي تظل عاجزة عن الإنعتاق و التخلص من قيود الغرب الذي يقسم الحضارات إلى الغرب المتفوق و المتحكم و الشرق المستسلم.

خامسا:

الغرب إنطلق من تصوره للذات وللآخر أعاد تأويل و تشكيل كل الرموز و المعلات لصالحخ الوعي التاريخي الغربي، من خلال خطابالته الإيديولوجية و السياسية و الغعلامية و فعله الغقتصادي و التكنولوجي، التي تحسن تلطيف الكلمات و الأفعال، التي تمارس عنفا على ثقافات الشعوب غير الغريبة و من ثم تتحول الثقافة الغربية إلى نموذج في ذاته ويتحول إلى إبداع و الممكن إلى ضرورة.

سادسا:

أطفى أدب الرحلة على إنتاج أدبا غزيرا، رائعا أحيانا و متوسط الجودة في أحاسيس أخرى يعكس حياتهم التي عاشوها في البلاد التي طافوا بها، أو إستقروا فيها و الأشياء التي رأوها، و الاقاصيص التي سمعوها، ثم حكوها لنا، فأخصبت الأخيلة و دفعت في شرايين الأدب بدماء جديدة، ثم ضاع الأصل و بقى الأثر، أو سجلوها في أشكال عديدة من الملاحظات، تجيء مجرد نقاط عابرة و سريعة، و تتدون بلا عناية كل ذلك إرتفع بأدب الرحلات إلى مصاف الانواع الأخرى و أصبح هذا اللون من الكتابة طابعا مميزا للعصر الرومانسي، و لو أن شيوع الرحلة في وقتنا الحاضر و سهولتها أفقدها الطرافة و البهجة التي كانت لها من قبل.

سابعا:

جاء الإستشراق محملا بإيديولوجية غربية حاملة شعار التفوق الحضاري الذي إمتلكته على أنه تفوق نوعي و كمي، إذ وضعت نفسها في مركز و الآخر في الاطراف فأقصت كل ماهو خارجد عن نمطها، و أصبح الموجود هو الغرب و البموجود هو الشرق هذا الاخير الذي همش و وضع خارج التاريخ الإنساني.

و بالتالي و من خلال ما أوردناه سابقا فإن أدب الرحلات و دوره في التواصل بين الحضارات من أهم المصادر المعتمدة في الكشف عما يعرفه العالم اليوم عن حضارة الرق القديمة، فلم يكن يبالي هؤلاء الرحالة من مخاطر البحر و من القرصنة بل كان همهم الإطلاع و الكشف.

فالعرب و رغم إمتلاكهم لما يؤهلهم ليكونوا في الطليعة و في المقدمة و في بعض الجوانب إلآ أنهم منتوضعون و بطبعهم، وهذه سمة الشرفاء فلوكان العرب هم القوة الاولى في العالم إقتصاديا و تكنولوجيا و سياسيا لساد السلام في العالم و لما عمت الفوضى و الحروب لأن العرب قوم يحكمهم الإسلام المناهض للخير بجميع أقطابه، لكن الدين الإسلامي و الحضارة الغسلامية سيبقيان صامدان أمام أي حضارة تحاول القضاء عليهما.

و في الختام لقائنا نختم بحثنا هذا بهذه الأسطر ل"كليبلينغ"، حيث يقول:

آه- إن الشرق شرق.
و الغرب غرب.
و فروق كبيرة بينهما.
هنا العلم و التكنولوجيا.و هناك الوحي و خلاص الإنسان.
يمكن أن يلتقيا.
في مشروع إنساني للسلام[1].

[1]: د/يوسف مكي: قراءة في الإستشراق ما بين الحربيين العالميتيين، ص31.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1-المصادر:

القرآن الكريم.

2- المراجع:

أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1972.

د/أحمد درويش: الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، (د، ط)، القاهرة، دار غريب للطباعة.

إدوارد سعيد: الإستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت 1984.

ألمانيا و العالم الخارجي، ترجمة مصطفى ماهر، بيروت، 1974.

د/جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.ط3، بيروت. المركز الثقافي 1992.

د/حسني محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976

حلمي ساري: صورة العرب في الصحافة البريطانية (نقله) رنا قباني، أساطير أروبا عن الشرق.

رحلتان عبر ليبيا: رحلة هورتمان والرائد جوردون كينج ط1 دار القرباني طرابلس ليبيا، مكتبة الفرجاني 1978.

الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن: أصوله و تطوره و مناهجه، ط4، القاهرة.

عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (د، ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب1912.

فؤاد قنديل: أدب الرحلة في الثرات العربي، (د، ط) الدار العربية للكتاب.

كارستين فيبور: رحلة مصر (1961- 1962) ج1 ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتب 43431977.

ليونهارت راوولف: رحلة إلى المشرق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد دار الحرية للطباعة 1978.

محمد حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت 1989.

محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط5، دار العودة، بيروت 1987.

محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت 1987.

مصطفى عبد الغني: جسر الجمرات من أدب الرحلات ط1، الدار المصرية اللبنانية 2004.
المولى إسماعيل كلية الأدب: أدب الرحلة و التواصل الحضاري، سلسلة الندوات، 1993، مطبعة فضالة المغرب.
د/يوسف بكار ود/خليل الشيخ: الأدب المقارن: الوحدة السابقة، القاهرة الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، جامعة القدس المفتوحة، 1989.
يوسف مكي: قراءة في الإستشراق مابين الحربين العالمين، (د، ط)، (د،ت).

3/ المجلات:

مجلة الهلال المصرية، ع7، القاهرة، دار الهلال 1975.
مجلة الرسالة مج2 السنة 2 العدد 64/24/09/1934.
مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983.

4/ الرسائل:

أحسن دواس: صورة المجتمع الصحراوي في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين رسالة ماجستير في أدب الرحلة، جامعة منتوري قسنطينة، 2004- 2005 .
بورايو عبد الحفيظ: مدينة قسنطينة في الأدب الرحلات، رسالة ماجستير شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، 2008.
خامسة علاوي: العجائبية في أدب الرحلات رسالة ماجستير في أدب الرحلات، شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، 2005.
عائشة ولجي: بلاغة الخطاب السردي في رحلة الورتيلاني، رسالة ماجستير في أدب الرحلات، جامعة منتوري قسنطينة، 2005- 2006
ليلى جباري: صورة الغرب في الرواية العربية (المشرق العربي نموذجا) دكتوراه الدولة في الأدب المقارن، جامعة منتوري قسنطينة 2005، 2006.

5/ بعض المواقع المعتمد عليها:

أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقين *w.w.w.soadso.wayan.com
أدب الرحلات *HTTPIHOR.WIKPDRA.ORG/WIKI/
* Hhp ; ll www.3no.zh/ tom /vb/showthread.php ?t =.26216

الفهرس

دوافع سياسية و ثقافية.
ه- دوافع إقتصادية.
و- دوافع صحية.
ي- دوافع أخرى.
6/2- الأهمية المصدرية لكتب الرحلة.
الفصل الثاني: أدب الرحلات، دوره و علاقته بأدب الصورة و اللاإستشراق.
العلاقة بين أدب الصورة و أدب الرحلة.
مفهوم أدب الصورة.
أنواع الصورة.
الصورةالسلبية.
الصورة الإيجابية.
دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق.
الإستشراق.
الفصل الثالث: صورة المشرق في رحلات الغربين.
المدينة العربية في عين الرحالين الأجانب.
صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز.
صورة المشرق في الأدب الفرنسي.
صورة المشرق في الرحالة الألمان.
صورة الجزائر في عيون الرحالين الأجانب.
-أ/ المؤلفين الألمان.
-ب/ المؤلفين الفرنسيين.
الخاتمة.
المراجع.